الثالوث الحضاري

بقلم موسى سليمان

* * *

البيت ، المدرسة ، الدولة ثلاثة تؤدي في النهاية الى نتيجة ايجابية واحدة هي ايجاد المواطن الصالح .

البيت ، المدرسة ، الدولة منفردة ومجتمعة يجب ان تستهدف هدفا واحدا ، وتسعى الى مسعى واحد لتبلغ الغاية الواحدة وهي : خلق المواطن الصالح . البيت والمدرسة والدولة ثلاثة محركات في جسم الامة ينبض قويا متى كانت الامة صحيحة سليمة فيؤدي واجبه الانساني على خير ما تكون التأدية ، ويمرض بمرضها ، ثم يموت بموتها ويمحي كانه ليس هناك امة وليس هناك وطن ، وليس هناك مواطنون .

البيت والمدرسة والدولة تفترق لتتلاقى ، وبعمل كل منها في اتجاه لتعود فتلتقي على صعيدالمواطنة الصالحة وهي غاية الغايات في سيرنا الحضاري .

هذه الاقانيم الثلاثة التي تؤلف الثالوث الحضاري والتي ترتكز عليها مدنية القرن العشرين ، والتي بها تكون الامم ما تكون ، وبها تصل الى ما تصل ، وبها تبلغ ما تبلغ ، وبها تفرض نفسها على العالم بطابعها ، تغذيه من غذائها ، تسقيه من رحيقها ، ينتشي على الرائع السخي من آدابها ، يهتدي في السحيق العميق من فلسفاتها ، هذه الاقانيم الثلاثة للثالوث الحضاري في العالم ، كيف حالها في لبنان ؟ وهل هي سليمة معافاة ؟ وهل يهيأ لها المناخ فتملأ رئتيها بالطيب النقي من الهواء ، وتؤدي دورها في بناء لبنان حضاريا وعلميا واجتماعيا على خير واروع ما يكون البناء ؟

البيت والمدرسة والدولة ــ ثالوث الحضارة العشرينية وثالوث كل حضارة ، كيف حالها في لبنان ؟

البيت اللبناني

كثيرا ما يقع الانسان فريسة بين ما يريده او ما يريد الوصول اليه ، وبين ما هو في الواقع .

ونحن في لبنان كثيرا ما تمنينا وما زلنا نتمنى ان يكون لنا البيت الهنيء السعيد الدافيء !

حفنة من الناس ، من اطايب الناس لا تتجاوز المليونين عدا ، تريد ان تعيش في اعشاشها المعلقة بين البحر والجبل ، هانئة مطمئنة ، تعمل مع العاملين لخيرها وخير الانسانية جمعاء ، مسهمة ، الى حد كبير ، في خلق الوطن الهنيء السعيد .

بيوتنا اللبنانية نريدها متحابة في سبيل الخير العام ، متآلفة على الحب والعطاء ، فكيف نرضى ان تدب بين افرادها البغضاء ، وان تنقسم على نفسها الى فئات واحزاب ؟!

والاسرة اللبنانية مرآة صادقة عن المجتمع اللبناني ، ومصدر خصب تستمد منه المدرسة اللبنانية غذاءها ، ودعامة قوية من دعائم البلاد ، فكيف نرضى ان يكون وجه المجتمع وجها مشوها ؟

وكيف نفسد غذاء المدارس ونسممه ؟

وكيف نقبل ان تنهار دعائم الوطن واركانه ؟

وللاسرة اللبنانية اركانها ودعائمها . لها ربها وربتها ، ولها بنوها وبناتها . ولكل منهم شخصيته المميزة ، ولكل منهم تفكيره الخاص ، ولكل منهم ذوقه وآماله والامه ومشكلاته .

ولكنهم جميعا يقومون بدورهم بدقة ودراية . جميعهم يؤدون دورهم بنظام وانسجام . فالاحترام متبادل ، والمحبة سائدة ، والغاية تتوحد في طلب الخير والسعادة للجميع .

الحرية مكفولة ولكنها لا تعني الفوضى .

والاستقلال الذاتي صفة حميدة يتصف بها كل فرد من افراد الاسرة ، ولكنها لا تعني ، بحال من الاحوال ، الانقسام والتفسخ .

ولكي تتصف الاسرة بمثل هذه الصفات عليها ان تنفتح على العلم ، وان تقبل على الحضارة تغرف من معينها . فكيف نأمل ان يكون لنا مجتمع عالم متحضر ، يسهم في ركب الحضارة ، يأخذ منها ويعطي ، يفعل بها وينفعل، يؤثر ويتأثر ، ونحن ما زلنا نشكو الامية في اكثر من مكان في لبنان ، في اكثر من منزل ، في اكثر من مدينة ؟

فلنقلع عن التبجح ، ولنبتعد عن الادعاء ، فنسكت عن التغني بأسطورة الاشعاع الفكري والتراث الثقافي والتكثف الحضاري وامثال هذه الكليشاهات الرنانة الطنانة على غير طائل ، تخلق فينا وفي اولادنا مركبا من التعاظم الفارغ نلهو به ، نمضغه مضغا والعالم ، عالم العلم والاختراع والابتكار والاكتشاف ، عالم الذرة والصواريخ الفضائية يسير سيره الصاروخي يشق الفضاء شقا ، يذلله ، يكتشف اسراره ، ويعود الينا ليجدنا على ما كنا عليه من التغني بالامجاد الماضية .

لا ادري كيف ندعي العلم وطبيبنا ما زال يعالج بعلاج ليس من وضعه ، ومحامينا يدافع بشرائع ليس له في تشريعها يد او راي ، ومعلمنا يعلم ولا يثقف ، ولا يربي !

بل كيف ندعي العلم وكتابنا العربي ، مهما علا وغلا ، ومهما ارتفع شأن كاتبه وسما ، لا يتعدى بضعة آلاف من النسخ توزع في هذا العالم العربي الطويل العريض الذي يبلغ ثمانين مليونا ويزيد !

وبعد هذا ندعي اننا علماء ، وان الاسرة اللبنانية مصدر

وحي وأشعاع ؟ ولكي تستطيع الاسرة اللبنانية ان ترقى وتتثقف علينا ان نوفر لها المال . والاسرة اللبنانية في اكثريتها الساحقة ، فقيرة معدمة لا مجال ينفتح امام ربها للعمل والتحصيل .

لقد ارتفع المستوى المعيشي في لبنان ، بعد الحرب الاخيرة ، ارتفاعا فاحشا وما زال آخذا بالارتفاع دون ان يرافق هذا الغلاء ارتفاع في الدخل . فكيف نطلب الى الشعب اللبناني أن يقبل على العلم يوفره لابنائه وبناته ، وهو الى لقمة العيش ، وسد جوعه احوج والزم ؟

واخيرا نحن شعب على الاخلاق الحميدة ربينا ، وفي ظلال الاديان السماوية الروحية نشأنا ، وعبقت اجواؤنا اللبنانية بنفحات روحية لا ابهى ولا اروع ، فلن نسمح ، وهذا بعض تاريخنا ، ان تتفسخ الاسرة اللبنانية مثل هذا التفسخ المشين ، ولن نرضى ان تصاب الاسرة اللبنانية بمثل هذا الشلل ، ومثل هذا الانحلال الخلقي المعيب يدب في طوايا الروح فيذلها ويقعدها عن المكارم !

قد يكون لنا مفهومنا الجديد للاخلاق ، وقد تكون لنا ، ونحن نرافق الركب الحضاري ، فلسفة جديدة في فهم الاخلاق ، فلا نعتبر من الاخلاق في شيء ، التمسك بالقديم ، فقط لانه قديم ، وان نعض بنواجذنا على كل ما وصلنا من آبائنا واجدادنا ، فقط لانه من الماضي والماضي مهيب مقدس !

مثل هذا التفكير ليس من الاخلاق في شيء .

لقد علقت بالاسرة اللبنانية بعض تقاليد سخيفة ، مكبلة ليست على شيء من الاصالة والطيبة ، كما ان هناك عادات عتيقة ، عفنة قيدت نفوسنا ، وكبلت ارواحنا وارواح ابنائنا ، ونحن ما زلنا نعتبرها من تراثنا الاخلاقي في الصميم ، مثل هذا التفكير يجب ان نقلع عنه ، كما يجب ان نتخلص من كل هذه القيود السخيفة التي تفرض نفسها على العيلة اللبنانية باسم الاخلاق والاخلاق منها براء !

ولكننا من ناحية ثانية ، لا يسعنا ان ندعي ان التخلص من بعض تقاليدنا الموروثة ، وطرح بعض العادات الاسطورية العفنة جانبا ، يعني الانفلات في خضم الرزيلة، والارتماء في احضان الفوضى ، والتهافت على كل ما هو غريب عنا ، بعيد عن بيئتنا ، لا يلائم ارواحنا ، ولا يتفق وأمزجتنا !

الاسرة اللبنانية منفتحة ومحافظة : تنفتح على الجديد من علم الغرب وادابه وفلسفته وفنونه ، وتحافظ على الجميل الرائع من خلق عربي اصيل ... وما اغنى تراثنا اللبناني به !!

المدرسة اللبنانية

اما المدرسة فهي الاقنوم الثاني من المثلث الحضاري الذي يعنينا . وهي تقوم بالدور الرئيسي في تثقيف العقول وصقلها وتوجيهها الوجهة الصالحة .

والمدرسة هي المختبر تحلل فيه النفوس ، نفوس الطلاب والطالبات ، وهي الملجأ الامين ، تأمن اليه والى الاستظلال به الارواح المتعطشة الى حبة من علم ، وهي المعين نستقي جميعنا من مائه الروحي الغزير ، وهي الهيكل يتعبد فيه بتهجد وتضرع وداب ، كهان المعرفة وطلاب الحقيقة !

والمدارس في الامم الراقية هي مصانع للرجال ، تزودهم بالغزير من العلم ، والعميق من المعرفة ، والناصع من الحق ، والخير من الجمال ، والرحب الرحب من الحرية .

والمدارس هي بأساتذتها والقائمين على شؤونها وتسييرها ، سلاحهم العلم الصحيح ، هدفهم الخدمة المخلصة .

والمدارس ترحب وتتسع ، وتكبر وتشمخ باتساع الغايات وشموخها ، وصلاح الاهداف وتأصلها . فكلما بعدت الغاية وعمقت ، كلما اجادت المدرسة في خدمة الامة وكرمت . وكلما تأصل الهدف وسما وبعد ، كلما جاءت رسالة المدارس خيرة صالحة .

والمدارس تقوم بعلاقات اساتذتها بعضهم ببعض ، وعلاقاتهم بالادارة والقائمين عليها ، كما تقوم بالروابط الروحية والاجتماعية تربط بين الاستاذ وتلميذه ، وبين المعلمين عامة والمسؤولين في المدرسة من ناحية ، وبين اولياء الطلاب والطالبات من ناحية ثانية .

هذه الروابط وشائج روحية تشد هؤلاء واولئك ، بعضهم الى بعض ، فيشتد البنيان ويعمق ويتراص !

هذا قليل من كثير يطلب تطبيقه في مدارسنا اللبنانية لكي تحسب مدارس نموذجية . فالى أي حد توافرت لنا مثل هذه المدارس ؟ وكم هو عدد المدارس التي تستطيع ان تؤمن لنفسها ولاساتذتها وطلابها جوا رحبا من الحرية الفكرية والصفاء الذهني ، والمحبة والاخاء ؟

وكم هي المدارس التي تقوم فيها ، بين الاولياء على شؤونها ، وبين اهالي الطلاب العلاقات المتينة التي تؤدي لخير الجميع ؟

وكم من مدارسنا اللبنانية تسعى الى غاية وطنية قومية واحدة ؟ وتهدف الى « لبنانية » واضحة صحيحة واحدة ؟ مثل هذه الامور الحيوية وغيرها كثير ، حان ان توضع موضع البحث ، وان يعنى بها القائمون على شؤون التعليم والتربية في لبنان مع المسؤولين في البلاد .

ذلك انه يستحيل على مدارسنا اللبنانية ان تؤدي رسالتها التربوية على وجهها الصحيح الكامل الا اذا كانت منسجمة بعضها مع بعض في مفهومها للتربية والقومية وللوطن .

وهنا يجيء دور الدولة وهي الاقنوم الثالث في ثالوثنا الحضاري :

الدولة اللبنانية

لن ادخل في بحث عميق لمفهوم الدولة في ظل النظام الديمقراطي الذي ننعم به في لبنان .

ولن ابحث في السلطات ، على اختلافها ، التي تستمدها الدولة ـ بالمفهوم العام لهذه الكلمة ـ فتحكم بموجب هذه السلطات في الناس بالعدل والقسطاس .

ولكنني ، من ناحية ثانية ، لا بد لي من ان اذكر ، ولو باختصار ، بعض ما يجب ان تقوم به الدولة نحو رعاياها تبريرا لوجودها ، وتثبيتا لهيبتها . ويجيء تأمين العمل لجميع المواطنين في مقدمة هذه الواجبات .

لا يمكن ان يعيش فرد في مجتمع ديمقراطي ، اشتراكي يهدف الى التقدم والرقي ، وهو لا يجد امامه عملا يقوم به ليسد من ريعه ، جوعه وجوع عياله .

ان للاسرة اللبنانية حقا طبيعيا على الدولة التي نطيعها ونحترمها ، وهو تأمين العمل الصالح لجميع افرادها ليتمكن كل منهم ، منفردين ومجتمعين ، من تأدية واجبه نحو نفسه ، ونحو عائلته ونحو المجتمع والوطن اللذين يعيش فيهما .

والدولة يجب ان تكون عادلة فلا توزع خيراتها ونعمها على قوم ، دون آخرين . العدالة الاجتماعية اس متين من ما في هذه الكلمة من سعة ورحابة . لقد ارتضينا ، في لبنان ، ان نعيش في مثل هذا المناخ ، مناخ الحرية . ولقد اخترنا الديمقراطية نظاما للحكم نطبقه ، على علاته ، راضين مسرورين ، ونحن اعلم الناس بما فيه من نقائص وعلل . ولكنه مع ذلك ، يبقى في اعيننا النظام الافضل والنظام الامثل لان جوه جو الحرية والانطلاق هو . . .

والدولة يجب ان تكون عادلة فلاتوزع خيراتها ونعمها على قوم ، دون آخرين . العدالة الاجتماعية اس متين من اسس المجتمع . بدونها لا يصنف المجتمع بين المجتمعات البشرية الراقية . ان اهم شرط من شروط المجتمعات الراقية الشعور الفردي والجماعي بالهدوء والاستقرار . ولن يهدأ الفرد ويستقر وهو يرى انه غير منصف في حياته ممن هم اولو امره والمسلطون عليه بحكم الشريعة

والقانون .

على الحكام ان يعدلوا في الرعية لتكون الرعية رعية والا فهي قطعان من السائمة وهم جزارون !

والدولة تؤمن الحقوق لاصحابها افرادا كانوا ام جماعات .

للدولة على الرعية حقوق يجب الا تتهاون في طلب تنفيذها ، كما ان على الدولة واجبات نحو الرعية يجب ان تؤديها لاصحابها بلذة ونزاهة .

يهمنا ، وقد ذكرنا بعض هذه الواجبات ، ان نضيف اليها مساعدة الدولة ماديا ومعنويا للمعاهد والمدارس القائمة ، عن الدولة ، برسالة التعليم والتربية .

ان العلاقة بين المدارس اللبنانية عامة وبين الدولة تكاد تكون معدومة . وهي علاقة من الواجب ان تكون من اشد العلاقات قوة ومتانة .

كذلك للمواطنين على الدولة حق الرفاهية الاجتماعية والعيش الهنيء الرضي .

لنا على الدولة حق الاكل والشرب والمسكن والملبس والنور والماء والكهرباء واشياء اخرى لا حصر لها ولا عد ، تعرفها الدول الراقية معرفة صحيحة وتعرف انها المبرر الاساسي لوجود الحكومات . وهي هي عنوان الرقي لكل دولة تحترم نفسها .

فأين نحن من كل ذلك ؟

واين الدولة من تنفيذ كل ذلك ؟

واين المدرسة من تنفيذ ما عليها والقيام بواجباتها ؟

واين العائلة اللبنانية من كل ما اشرنا اليه وما لم نشر ؟

فما لم تقم هذه العلاقات الوطيدة بين الاسرة والمدرسة والدولة ، وما لم يتح للعائلة اللبنانية ان تنشأ وتحيا في مناخ صاف حر ، وللمدرسة ان تعمل في جو انساني رحب خير ، وللدولة ان تحكم بالنخبة الممتازة علما ، وسياسة ، وضميرا ، فتستطيع ان تشرف اشرافا فعالا، وان توجه توجيها حكيما ، ما لم نسع جميعا ، اسرة ، ومدرسة ، ودولة الى العمل المثمر الايجابي البناء ، يشد الواحد منا الاخر ، ويسند الواحد منا الاخر ، ما لم يفهم حاكمنا انه خادم لعاملنا ولفلاحنا .

ومعلمنا انه اب رؤوف حنون للطالب الذي بين يديه ،

وما لم يفهم الطالب ، والاب ، والاولاد ، وجميع المواطنين انهم يعيشون لهذا الوطن اللبناني كما يعيشون لانفسهم ، وأن عليهم حقوقا مقدسة نحوه ونحو المجتمع الذي يضمهم ابناء احباء الى قلبه ،

ما لم يفهم كل منا ما له وما عليه ، اي ما لم نثقف الثقافة الصحيحة الواعية ، فلن يكون لنا هذا المثلث الحضاري الذي تنعم به الامم الراقية ،

ولن نستطيع ان ندعي اننا بلد العلم والاشعاع . . .

موسى سليمان



الياس ابو شبكة

ابو شبكة... ملامح وذكريات

بقلم انطون قازان

* * *

الشعراء في بلدتهم غير الانبياء ، انهم يكرمون .

وهذه المنطقة الحبيبة ،على تلقيبها عبر التاريخ « بالعاصية »، ما اضطهدت يوميا نبيا ، ولا جافت من ابنائها عبقريا .

واذا كان لابد من فداء لتستقيم النبوة فحسب الشعراء ما ذرفت عيونهم من دماء .

ان صليبا رسم على مهد كل قصيدة، وهجرة قامت بعد كل تبشير ادبي ، واضطهادا رعى كل قيامة شعرية ، الا كفاهم مشاركة في الفنى العلوي .

قد تنطفيء الشمس ، فيهول الامر عندنا ، وقد يسود القمر ، فتملاء الصدور رعبا ، ولكن ساعة بموت الشاعر تمر بنا لحظة من كآبات الجمعة العظيمة .

عفوك اللهم ، لابد من قوم يقربون منك ، ومن اقرب اليك من الشاعر ؟

ان يكرم ابو شبكة في منطقته فلهذا الف سبب ومعنى . لعل اقلها هبة التراب الذي ضم رفاته ، وشوق الدروب الى وطء ظله ، ولهفة الاكمات الى تسمر عينيه ، وقيامة الخليج الى مواكب اطيافه . وفوق كل ذلك تمسك اخوانه وانتزاعهم شاعرهم من يد الاساطير ، على ايمانهم بالخلد واهله .

هنا اربعة واربعون ربيعا اقتطفت من الفصول وشبكت تمردا على الزوال كما الارزة الخضراء بين الزوق والخليج.

هنا اربع واربعون سنة في معاناة الحب ، ومشاركة القوم مايعون وما لايعون .

وان يتم التكريم في هذا المعهد بالذات فطبيعي . ان لصوت الشاعر هنا اصداء لا تنتهي ، ولخياله مرا لا يغيب.

جاءنا يوما ابو شبكة ، ونحن في أول الشوق الى الادب ، وكتفاه تنتفضان كالمعتاد وقال : ان معهد الرسل يدعوني الى مهرجان ادبي ويطلب الي قصيدة ، لكن مشاغلي لاتدع لي مجالا . ثم غاب في خياله الى عالم بعيد، وتابع قبل ان يسمع منا ردا ، واخذ يقول : لبنان ، هذا الفنى الالهي ، موزع على الهضبات ، ما المال ؟ ولبنان جمال ، وعلم ورسالة ، وهؤلاء الرسل العلماء يرسون قواعدهم في اجمل بقعة من الدنيا ، وما كاد يتوقف هنيهة حتى فاجأته بقولي : ولم لاتلبي الدعوة ؟ فقال مستفهما : وماذا تعني ؟ قلت : غن هذا الذي قلته الان ، والقصيدة جاهزة . واول مرة رايته يقتنع بهذه السهولة ، واذا به على هذا المنبر يقول نظما ما قاله بالامس نثرا ، وكانت بائيته الشهيرة :

لبنان ، أغنى كنوز الارض ما تهب	على ثراك الندى في شمسك الذهب
ما قيمة المال والدنيا اذا انكمشت	هذي السهول وشحت هذه الهضب
لبنان اولك الدنيا وآخرك	الدنيا وبعدك لا افق ولا شهب

كتب عن ابو شبكة الكثير ، ودرس شخصه وادبه الى حد ان كاد يخرج عن طوق المواضيع ، فترانا نخشى لفرط الرغبة بقول الجديد فيه ان نخلع من اوهامنا عليه ما ليس من حاله . فيما اسلم العود اليه كمحمل رائع بلا رسم ولا تخطيط ، ويا ما اطرف ان نتناوله كما تشاء الخاطرة .

انا الساعة انظر اليه ، ولا احدده .

عندما يذكر هذا الشاعر نحس باننا مضطرون للمقاومة. فالرجل مقتحم سدود الغيب وما ثل امامنا .

ان العاصفة لم تهدأ على جبينه ، واشارة الرفض لم تبارح شفته ، والخيال المرتسم على عينيه لم يستقر بعد ، وقامته المنتصبة لم تزل صراخا الى العنفوان والنبل .

على اننا فقط نسمع صمتا رهيبا من مثل ذاك الذي يحيط بالغائبين الكبار .

لم يولد في هاديء الاكناف ، ولعله اعد منذ البدء ليكون للدنيا لا لارض بذاتها . لقد ابصر النور بعيدا في اثناء رحلة لابويه ، وماكاد يستقر به المقام حتى قتل ابوه ، فيالسواد لف مهده ، ويا لنقمة على الدنيا بدؤها في المهد ونهايتها في الاربع والاربعين .

تستوقفني في الشاعر تلك الثورة العارمة الناهضة على مباديء وقيم ، والتي اجتاحت كيانه وادبه حتى غدت قوامهما .

* القيت في الحفلة الخطابية التي اقيمت في معهد الرسل بجونيه بمناسبة الذكرى الـ ١٧ للشاعر الياس ابو شبكة .

هذه الثورة لها مقلبان : داخلي حميم ، وخارجي واقعي .

لقد نشأ ابو شبكة في زمن مضطرب وبيئة قلقة . وما كاد يبلغ الحادية عشرة من عمره حتى اندلعت الحرب الكونية الاولى . ثم شاء القدر ان يدرك ، على قصر حياته، الحرب العالمية الثانية .

اضف الى ذلك ذكريات من القلق الموروث عن احداث الجبل في الجيل الماضي ، ثم تسرب حركات التحرر الفكري الممتدة من مبادىء الثورة الفرنسية ، الى قيامة احمد فارس الشدياق على التقليد في « الساق على الساق » الى ثورة جبران والريحاني ، الى دور الصحافة في النهضة السياسية ، كلها عملت على تهيئة الجو الملائم لانفجار تلك النقمة الكامنة في صدر الشاعر .

اما ذلك المقلب الداخلي الحميم فهو ان الشاعر اوتي عنفا في الاحساس غريبا ، وقوة ذاتية نادرة ، وتشنج عصب لايني ، وحرق هوى وارهاق نفس كبيرة ؛ فكانت كلها ابو شبكة الثائر .

لقد ثار منذ عهد التلمذة، فكان الولد المتمرد .

طرد من المدارس لعصيانه . ان حادثته مع استاذه الاب الياس الحايك مشهورة . ففيما كان يشرح قاعدة اعراب اعترضه ابو شبكة ووصف الشرح بانه خطأ في خطأ . فاحتدم الجدال وكان ان طرد الولد . واغلب الظن انه كان محقا في اعتراضه والا لعولج الامر بغير الطرد .

هذه الثورة المتاصلة في نفس الشاعر لم تعمل الايام الا على اذكائها . فاذا هي تمرد صارخ على ماض وحاضر و آت .

انه تمرد القلق المضيع ، فغربة ، وخيبة ، وعبث .

هذا التمرد شهادة جيل كامل كان ابو شبكة خير من احس مآسيه وشجونه .

ثار ابو شبكة على التخاذل والغش والرياء والدس والحسد ، ودعا دعوة صارخة الى تقديس الكرامة الانسانية .

انني اعشق فيه ذلك العناد في مقاومة الدهر ، وتلك الصلابة حتى امام الموت ، وذلك الشمم اللبناني العريق الذي ماتنازل عنه مقدار ذرة ، وتلك الكبرياء لا على الناس بل على الايام وصروفها ،وذلك الاخلاص للعدالة ، وتلك الجراة التي لاحد لها في قول الحق والدفاع عن الحرية .

انها العمري رسم رائع للمثالية اللبنانية ، وسعي صادق لتركيز عرش الانسان في الزمن .

لقد آمن ابو شبكة بلبنان حتى العبادة فجوار هذا الخليج في نظره نصف الدنيا .

اما انتقاداته لبعض رجال السياسة في ذلك الوقت فمشهورة بجراتها ، وكان يوقعها بتوقيع مستعار هو « الشاطر حسن » والشاطر حسن هو الذي قبض على الاربعين لصا في قصة « علي بابا » المشهورة .

وانسجاما مع روحه المتمردة نراه معجبا بالمعري وشعره وهو الناقم الضاري ، ومتأثرا بالتوراة وهي من العنف بالمكان الاول .

* * *

صادق حتى الموت ، ماتلون وجهه الا اثر حمى ، ولاحنى راسه الا ليقبل عتبة الهيكل .

ما درس ولا تخرج ، بل تثقف على حبه ، وتخرج في امه ، فما اعمق ثقافته، ونعمت الشهادة !

لقد طالع صفحات السماء ،فكانت ابياته وسع الافاق عراضا .

ابحر في الحياة بمجاذيف من اجنحة ، فعاش في الشعر ، لاله ولا به .

غنى على ايقاع انساني ، ففتحت له القلوب . وبينا هو مواكب جيله لامس المشاركة الانسانية الواسعة .

ما انفرد عن قومه ، على غنائيته الظاهرة ، بل مد الوليمة وفتح شباكه ونادى .

على انه وهو في خضم الحياة واهوائها ظل مشدودا الى هذه التقوى العالقة بالجبل ، فالتقى الله على كثير من مفارق الحياة .

ان في ادبه صفحات صاحية صحو الصلوات على افواه العابدين .

ادب ابو شبكة ادب غد ، تنبعث منه طلائع ، لا اصداء .

خلا من برودة التماثيل ، فهو ادب حار، تكاد تحترق الشفاه على حروفه . وماذكر مرةان فتحت كتابا من كتبه الا وعدت امسح الدم عن يدي .

لقد تميز بالمجوبة النضح الدموي .

سبحانك اللهم ، لقدشرعتلنا القداسات الواناً .

لم يتح له دفقه الشعري ان يتلذذ بالبراعات الجمالية .

على أن ادبه انفتاح على اولي الازمات الخانقة ، يقرأونه فيشعرون بانهم خدموا ، وارتضوا .

* * *

فيا شاعر « الافاعي » من قلبك « نداؤك » ومن عروقك « غلواؤك » وعزك « الى الابد » .

ان مثواك الهادىء في الزوق بين شجرات اللوزومعرشات الدوالي يظل يؤتى للشفاء من التخاذل ، ولطلب المزيد من العنفوان ، والكثير من الكرامة ، ويؤتى لسماعك تلقن الاطيار كيف اراد الله ان يكون الغناء .

منذ سبعة عشرعاما ، يوم بلغنا غيابك شعرنا نحن الشباب باننا فقدنا كثيرا من شبابنا . لكننا نعود على ذكراك فنستعيد بعضا مما فات .

يا لسر الشاعر ، يعيد الى العم ربذكراه ما انتزعه غيابه !

انطون قازان

ملحمة لبلادي

نظمت في لندن عام ١٩٦٣

ثريا ملحس



الدور الاول

مددت يدي احس دمي
وعيني

اسائل كل ايامي
وامسي

واسجد فوق رابية
وصخر

اناجي النجم في الغيب
انادي

انادي ، بح صوتي من
ندائي

فلا عيني تحس ولا
دموعي

ولا عصبي يرن ولا
دروبي

انا من ؟ من انا ربي ؟
ظلال ؟

ومن يمشي معي ربي ؟
فضاء ؟

تبلر في قيامي في
قعودي

واين صداي يا ربي
وحسي

اينسى الرمش عيني في
الضباب ؟

اينسى العمر دربي في
القباب ؟

اينسى الحس اني في
جهاد ؟

وذاتي فوق احلامي
تطير

واحلامي مجنحة
تطول

وموج غب موجات
يعود

تجمد كل شيء في
طريقي

ارى صخرا على صخر
يميد

وبحرا في محيطات
يفور

فأصرخ في كياني هل
يؤوب

تعود لي الحرارة في
عروقي

انا في سكرة اهذي
وروحي

وعقلي في يميني في
شمالي

انا من ؟ من انا ربي ؟

وهل يبقى السؤال بلا
جواب ؟

اتتركني الاماسي في
حبال ؟

اروح ، اجيء دون صدى
خيالي

وقلبي بارد ، صخر
الاهاب ؟

وهل ربي تعود مع
الليالي

فنعلو فوق هامات
المعالي

ونبحث عن جديد في
الكهوف

لنبني بيتنا فوق
الحدود

ونجني عزمنا دون
القيود

ونقطف اقحوانات
ونرعى

وراء الغيب نسأل عن
حياة

وعن قدر عجيب لا
يجيب

نعود بلا غد نسعى
لامس

يروح بلا غد او لا
يروح

الدور الثاني

•

وها صوتي صداه مع القيود
يميد مع البروق مع الرعود
يحطم كل موجات بقايا
وابحث عن بقايا كل شلو
ورمشي يابس ، صلب المزاج
اعاتبه

فلا يرضى عتابي
ادحرجه

فيعصى في الروابي
زرعت الحب في ترب البراري
نما رزعا ، زها فوق التلال
ليدعو الانس في كل الديار
الى ارض ملفحة بغار
ونرفع راية فوق العمار

يدي ، قلبي
وكل دمي
ثماري

تراقص باسقات في الاعالي
وتدعو وحدة بين الانام
تمر بي الغيوب فلا ابالي
واصحو ، اين رمشي ؟اين قلبي
زرعت الحب في حقل يباب ؟
ففارت نسمة حيرى الاياب
وكم كانت ضياعا في الضباب
انصحو دون هزات الحياة
فنأبى ان نعود من السراب ؟

الدور الثالث :

•

يلح علي شيء في كياني
يفجر ذرة مثل الجبال
وبعضي غب بعضي في الرياح
تعاودني شجوني بالسؤال
وبعضي صاعد فوق الروابي
وبعضي هابط تحت الدوالي
يهم ، يطير بي عبر البحار

فلا يصحو كانه في انفصال
تقلقلني تحركني
حكايا

اراها في صعودي ، لا ابالي

فلا وجه
ولا عقل شبيه

ولا فن
غريب في اكتمال

ويجذبني حنين للفضاء
ويجذبني حنين للكمال
اوحد كل شيء في دمائي
فتصبح مرتعا ، عين الجلال
احوم كما اشاء مع المراعي
احوم كما اشاء مع الخيال
كأنك يا الهي في بلادي
فقط تحيا ، وترتع في الجمال
ووجهك نورنا عبر الطريق
وقلبك قلبنا ، هادي الضلال
احن اليك ربي في الضباب
احن اليك ربي في ابتهالي
واركع في سجودي كل يوم
فلا وجها اراه سوى الجلال

•

الدور الرابع

•

-حديثي ذو شجون في الاماسي
وقلبي في نهار في اشتغال
تناجيني الخطى دوما بهمس
يناديني صداه مع الامالي
وبعضي ، كل بعضي في سجود
وعيني ، كل عيني في مثالي
اراه معي ، اراه بلا دليل
فيرقص كل بعضي في اختيال
فأغدو فوق هامات السؤال

★

ورحت مع الصدى الوي بفاب
وابحث عن سمائي عن ترابي
ولبت كحيرة دون اكتئاب
وجدت حصى على شط الضباب
يتيه بلا اله في اضطراب
ورحت ابحث عن ترابي
واهتف يا بلادي يا بلادي
بلمح كان لي كل البطاح
رايت جبالنا قبل الصباح
يظللها اله بالفلاح
كطفل ، رحت المو بانشراح
حنيات الورود مع الاقاحي
والثم ذرة قبل الرواح
واهتف يا بلادي يا بلادي
احس كأن قلبي كالقداح
فأشرب من عذاب من ملاح
واحنو فوق ذرات الصباح
امرغ هدب عيني في الجناح
فيصعد ذكرها هب الرياح
اطوقها بحلقات الاقاحي
واهتف يا بلادي يا بلادي
اموت فدى لحبات التراب
وارفع ريشتي خط العباب
واحفر جاهدا عزم الشباب
فلن ارضى بديلا من حروفي
ولن ارضى بديلا من ترابي

ثريا ملحس

العوامل التي أدت الى تحرر آسيا وافريقيا

بقلم محمد جميل بيهم

* * *

لم يتسن لاوروبا بسهولة ان تبسط سلطانها على آسيا وافريقيا وتحولهما الى مستعمرات ومحميات وانما واجهت في سبيل ذلك اشد المصاعب ، وبذلت اوفر الاموال ، وذلك رغم ما اعدت من قوة ، وضحت من رعايا ، ورغم ما استعانت به من سياسة المصانعة ، والتفريق ، والوعود البراقة . ومع كل ذلك فان اوروبا واجهت ايضا في اوائل عهد الاستعمار انتفاضات وطنية في كل مكان وواجهت ثورات تحاول طردها من تلك البلاد المغلوبة على امورها . وما ثورات الامير عبد القادر في الجزائر والامير شامل بروسيا ، وساموري في غينيا ، والمهدي بالسودان ، وما ثوره مسلمي الهند ١٨٥٧ التي كادت تطيح بانكلترا لولا استعانتها بالسلطان عبد المجيد العثماني ، وغيرها من الثورات الا امثله حيه على الانتفاضات الشرقيه ضد طغيان الغرب . بل يمكننا أن نعد في جملة هذه الامثلة حرب الافيون بالصين ١٨٣٩ ــ ١٨٤٢ ، والحرب الروسية ــ اليابانيه . وفيما عدا هذه الحرب التي نشبت في مطلع القرن الجاري كان الكفاح يؤدي الى تثبيت اقدام المستعمرين فيما وقع تحت سلطتهم بسبب تفاوت القوى ، ثم يفضي الى اخفات الاصوات المتحررة .

واما انتصار اليابان على روسيا بعد انتصارها على الصين ١٨٩٤ ــ ١٨٩٥ فقد كان له اثر كبير في ايقاظ الشرق المتململ . كان هذا الانتصار بمثابة النافذة التي اشرف منها الشرق على رحاب من الامال اذ دار في خلده منذ ذلك انه يستطيع ان يتحرر اذا اتبع خطوات اليابان في نهضتها الحديثة . واني لا ازال اذكر ، وانا طالب في الكليه العثمانية ببيروت ، كيف ان الاساتذة كانوا يتخذون من انتصار هذه الدولة الشرقية على دولة القياصرة عبرة كانوا يلوحون بها امامنا بغية ايقاظ الهمم شطر التقدم المنشود .

وكانت طوكيو في غضون فرحها الجنوني بالانتصار وبعده تنادي عاليا « اليابان لليابانيين » فتردد اصداء نداءاتها في الشرق مشفوعا بالابتهاج ، ويتساءل مفكروه : لماذا لا يكون لنا مثل هذا الشعار ؟ »

ولكن انى لهم ذلك والمستعمرون طوقوا آسيا وافريقية بشبكة من الفولاذ لا مفر منها ، ولا سبيل الى اختراقها ؟ ثم هم ما ان شرعوا يتندرون بالخطر الاصفر بعد انتصار اليابان حتى عمدوا الى تدعيم هذه الشبكة بطبقة اخرى من الصلد ؟ وحينئذ كاد اليأس يستحوذ على النفوس لولا الصوت الذي ارتفع من بلاد العرب قائلا : «نحن لها ، نحن لها . »

العرب يشقون الطريق لاستقلال آسيا وافريقية

كانت القضية العربية اقليمية لا تتعدى حدود السلطنة العثمانية حتى اذا نشبت الحرب العالميه الاولى فرجت هذه القضيه من الاقليميه الى مستوى القضايا العالميه ، واعترفت الدول بها كقضية سياسيه . وكان ذلك سنة ١٩١٦ حينما قبل الشريف حسين امير مكة العروض التي طرحتها عليه لندن ، ودعا العرب الى القتال تحت علم الوحدة والاستقلال . (١) .

حقا ان الحلفاء لم يفوا بعد الحرب بما عاهدوا عليه شريف مكة ، ووعدوا به العرب ، بل تقاسموا بينهم تركة السلطنة العثمانية من بلاد العرب على شكل جديد من الاستعمار ووصفوه بالانتداب الا ان عملهم هذا بالاضافة الى وعد بلفور ، اشعل جذوة الحماس في نفوسهم ،ودفعهم الى النضال في سبيل الاستقلال .

وكان الحلفاء قد قسموا بلاد الشام الى مناطق ثلاث : سوريا ، ولبنان ، وفلسطين . وكان من نصيب سوريا ولبنان الانتداب الافرنسي ، ومن نصيب فلسطين الانتداب البريطاني اسوة بالعراق . وكانوا قد سمحوا للامير فيصل

---

(١) وقد بدرت بادرة اخرى بعد ذلك جاء فيها اعتراف آخر بالقضية العربية قبل ان تحرز البلاد العربية استقلالها . وكان ذلك حينما جمعت فلسطين شمل العرب حولها ، واصبحت لديهم بمقام القافية في القصيد . وحينئذ لم يسع لندن الا الاعتراف بهذه الكتلة المتراصة فدعتها سنة ١٩٣٩ الى مؤتمر المائدة المستديرة بلندن للبحث معها في الحلول ، فكانت هذه الدعوة اعترافا اخر بهم وبقضاياهم . (قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور الجزء ٢ ص ٢٤١ لصاحب المقال)

(٢) العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب ص ١٧١

(٣) تيبورمند في ثورة اسيا ص ١٢٤ T. Mende, la révolte de l'Asie

بن الحسين ، الذي دخل سوريا فاتحا في تلك الحرب ، بان يتولى حكمها باسم والده الذي اصبح ملكا بمكة ، فذاق السوريون خلال ذلك ، ولاسيما بعد ان بايع المؤتمر السوري فيصلا ، وتوجه ملكا على سوريا ١٩١٩ ذاقوا لذة الاستقلال ، وتمتعوا بنعمة الحرية . ولقد كنت عضوا في هذا المؤتمر ، وشاهدت بنفسي كيف كانت سوريا ، بفرحتها الكبرى ، كانها بركان تغلي في قلبه الحمم . ولما غدر الحلفاء مرة اخرى بالعرب ، وتخلوا عن سوريا ، وتركوا الافرنسيين يحتلونها بالقوة ، انفجر هذا البركان بين قوم لم يغدر بهم فحسب ، بل ذاقوا لذة الاستقلال ، فكان عهد الافرنسيين بسوريا عهد مشاكل وثورات اخذت بعضها برقاب البعض الاخر . والجدير بالذكر هنا ان السوريين ، في نضالهم الباسل ضد الانتداب ، ما كانوا يقفون عند حد النضال للاستقلال ، بل كانوا يتعدون هذا المطلب الى نطاق الدعوة لاستقلال العرب اينما كانوا ، والى الوحدة العربية الكبرى . وقد اتيح لي ان اشاهد ايضا مدى حرص السوريين على قضية الوحدة العربية .

فقد جئت دمشق خلال ذلك على رأس وفد للهيئة الوطنية بلبنان التي كانت تعارض تقسيم بلاد الشام جئتها قصد المفاوضة مع اقطابها السياسيين من اجل توحيد الجهود ضد هذا التقسيم . وفي الجلسة التي عقدت في بيت الامير طاهر الجزائري ، ودار النقاش فيها حول الموضوع نهض الاستاذ عفيف الصلح واعلن : « بانهم انما يعملون من اجل الوحدة الشاملة ، واذا انصرفو عنها الى الوحدة السورية فسيشعرون بانهم انحدروا عن مستوى مثلهم الاعلى » .

واني وان كنت لم اقتنع بهذا الراي استنادا الى القاعدة الحكيمة : « اعمل لنفسك ثم لاخيك » فقد قدرت فيهم هذا الاخلاص للمبدأ الذي نشأ عند العرب منذ نشأت القضية العربية في العهد الحديث . على ان المؤتمرين قرروا في النهاية عقد مؤتمر في حمص لدراسة الاقتراح مع اخوانهم اللبنانيين ، ولكن السلطة تداركت الامر واعلنت موعدا للانتخابات ، فصرفتهم عن هذا المؤتمر .

هذا ولقد اثمر كل من نضال سوريا فيما بين الحربين العالميتين وبعدهما ، ونضال لبنان الاجماعي بعد الحرب العالمية الثانية فاستقل البلدان في عام ١٩٤٦ . وكان هذا الاستقلال بمثابة سقوط الحلقة الاولى من سلسلة الاستعمار التي كانت تطوق عنق العالم العربي ، بل كان هو واستقلال اندونسيا سنة ١٩٤٥ فاتحة عهد الاستقلالات المتوالية في اسيا وافريقيا .

فقد كان العالم العربي في القرن العشرين اول الشعوب الاسيوية - الافريقية تطلعا للاستقلال ، فبالاضافة لاشهاره السيف ، واعلانه الثورة بلسان شريف مكة سنة ١٩١٦ ، فلما غدر الحلفاء بالعالم العربي لم يهن ولم يستكن بل ثار في كل مكان على المستعمرين . ففي سنة ١٩١٩ ثارت مصر وليبيا ، وفي عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٤١ ثارت العراق وفي عام ١٩٢٥ ثار الريف المراكشي ، وفي سنين ١٩٢١ و ١٩٥٤ و ١٩٥٥ و ١٩٥٦ توالت الثورات في تونس ، وفي ١٩٢٥ و ١٩٢٦ و ١٩٢٧ كانت ثورة سوريا الكبرى ، وفي ١٩٢٩ و ١٩٣٦ و ١٩٣٧ ثارت فلسطين وفي ١٩٥٤ و ١٩٥٥ و ١٩٥٦ ثار المغرب ، وفي سنين ١٩٥٤ الى ١٩٦٢ والت الجزائر حرب التحرير ، وفي ١٩٥٥ و١٩٥٦ انتفضت المحميات الانكليزية في جنوب اليمن ، وفي عام ١٩٥٧ اعلنت عمان ثورتها على مسقط والانكليز .

فكان القرن العشرون ، خلال فترة من الزمن تقدر بثلث هذا القرن ، يتحدث عن العالم العربي وهو اذ يشرف عليه لا يرى في رحابه الا اسلحة مشرعة في وجه الاستعمار وثورات ملتهبة كانها كتلة من ابراج رافعات البترول المضيئة في الليلة الظلماء . ثم اذا قرا انباءه في السنين الاخيرة لا يقرا الا اخبار الاستقلال اثر استقلال تحرزه تباعا امصاره . فقد استقلت ليبيا ١٩٥٢ فمصر ١٩٥٦ ، فتونس والمغرب ١٩٥٦ فالسودان والعراق ١٩٥٧ فالكويت ١٩٦١ ثم الجزائر ١٩٦٢ (٢) .

هذا وقد حدث تغير ملحوظ في موقف السوفييت باسيا منذ عقد مؤتمر يالطا سنة ١٩٤٥ بغية التفاهم بينهم وبين حلفائهم في الحرب الاخيرة على شؤون العالم . ذلك بان موسكو اعربت منذ ذلك التاريخ عن رغبتها في الافادة من الحالة المتفجرة التي خلقتها تلك الحرب ، فجاءت الشيوعية تعد اولئك المشفولين باسيا بتعاستهم وفقرهم ، تعدهم بالنعيم ملوحة بالازدهار الذي ادركه القسم الاسيوي من الجمهوريات السوفيتية ، وتشير اليه على انه مثال رائع لتقدم اقتصادي كبير امكن تحقيقه دون الالتجاء الى العون الخارجي ، وهي في تلك الدعاوات كانت تعتمد اعتمادا قويا على الاحزاب الشيوعية المحلية ، فاذا بفريق منهم يقبلون على الشيوعية في اكثر من نصف القارة الاسيوية (٣) واذا باسيا كلها تقريبا تقبل على التعاون مع موسكو ، وترفع بمساعدتها عن رقابها اغلال الاستعمار . فاستقلت اندونسيا سنة ١٩٤٥ ، ثم الهند وباكستان ١٩٤٧ ، وارتمت الصين الشعبية في احضان الشيوعية في عام ١٩٤٧ ، وهكذا دواليك ، فتساقطت بذلك بقية حلقات سلسلة الاستعمار .

وشرع الاتحاد السوفيتي يدغدغ احلام افريقية السوداء في سباتها العميق ، بينما كان استقلال الامصار العربية في شماليها يحفز المترددين من اجلها للبقظة والمطالبة بالاستقلال ، وبينما كانت بطولات حرب الجزائر مهمازا في خواصر ضعاف النفوس برهن لهم على ان قوة الايمان هي اشد من قوة النار والحديد فاذا بهذه القارة تنتفض ، واذا

بالمستعمر الذي صال هناك وجال يشد الرحال، وينعي المآل .

التضامن الاسيوي الافريقي يحسر ظل الاستعمار

وكما كان العرب قدوة لسائر الاقوام الاسيوية ـ الافريقية بمبادرتهم الى التحرر من الاستعمار فقد كانوا كذلك اولهم في التفكير بحاجتهم الى مؤسسة تجمع بينهم فتعاونهم في غضون كفاحهم ، وتكون رمزاً لوحدتهم ، ومنسقا لجهودهم بعد الاستقلال . ومن هنا نشأت جامعة الدول العربية في عام ١٩٤٥ .

وفي ذلك العام ذاته عقدت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية مؤتمر دبرتن اكس ووقع في سان فرنسيسكو خمسون دولة على ميثاق جمعية الامم المتحدة ، وكان بين الموقعين على هذا الميثاق سوريا ولبنان ومصر والعراق والعربية السعودية .

ومنذ قيام هذه الجمعية شعر ممثلو الدول الاسيوية الافريقية ، التي تجمع بينها الالام والاماني ، بحاجة ملحة الى التكتل حيال تكتل ممثلي دول الاستعمار ، ومحاولتهم الهيمنة على جمعية الامم ، فالفوا في نطاق جمعية الامم الاسيوية ـ الافريقية في اذار ١٩٥٢ وقد اضطلعت هذه الكتلة باعباء الدفاع عن الشعوب افرادا ومجتمعين ، وحملت لواء مبدأ التحرير ، وتهديم الاستعمار .

وفي الجلسة التي عقدتها هيئة الامم المتحدة في ٢٤ ايلول ١٩٥٨ فوجئت بما لم تكن تألف سماعه من افريقيا وذلك حينما نهض وزير خارجية الحبشة وطالب بصراحة بان ترفع الدول المستعمرة ايديها عن هذه القارة ، وان تترك لها حقها الطبيعي بممارسة حريتها واستقلالها ، وحينما انتصب واقفا مندوب غانا وايد زميله في الكتلة الاسيوية ـ الافريقية بكل حرارة .

وقد تكاثر عدد اعضاء هذه الكتلة تباعا حتى اصبح الان يزيد عن نصف اعضاء جمعية الامم الذين بلغ عددهم الان ١٠٦ اعضاء فكانت لها بهذه الكثرة صفة الكلمة المسموعة ، وبمساعيها قررت هيئة الامم تأليف لجنة لتصفية الاستعمار ، وجاء هذا القرار بمثابة اقرار منها بحق شعوب العالم في المساواة ، وفي الحرية والاستقلال .

وكانت الدول الاسيوية ـ الافريقية لا تتكل على ما ترجوه من خير من لدن كتلتها المذكورة في هيئة الامم فحسب ، بل ان شعورها بان مشاكلها متشابهة ، وان الخطر الاستعماري لا يزال يهددها على صورة جديدة كانا يبعثان فيها روح التضامن ، ويحملانها على التكتل ، لذلك كان اول عمل قامت به الهند ، في اعقاب احرازها الاستقلال عام ١٩٤٧ ، دعوتها جميع بلاد اسيا لمؤتمر عقد في دلهي ، وخفت موسكو الى حضوره . واختمرت من بعد فكرة التكتل بين الاسيويين والافريقيين فاذا بمؤتمر باندونغ باندونسيا يعقد في نيسان ١٩٥٥ فكان فاتحة المؤتمرات بين القارتين .. ولقد اعتبر هذا المؤتمر حدثا تاريخيا فذا ، ليس لانه كان يمثل اكثر من نصف عدد سكان العالم فحسب ، بل لانه رسم مخططا جديدا لسياسة اسيا وافريقيا هي سياسة الحياد الايجابي ، وجاء نواة للكتلة العالمية الثالثة التي قامت من بعد الى جانب الكتلتين الشرقية والغربية .

وكان نجاح هذا المؤتمر حافزا للدول الاسيوية الافريقية للتنادي الى عقد مؤتمرات اخرى مشتركة . فعقد بالقاهرة مؤتمر تضامن الشعوب الاسيوية ـ الافريقية مرتين في سنتي ١٩٥٧ و ١٩٦٠ ، كما عقد فيها المؤتمر الافريقي الاسيوي سنة ١٩٥٨ ، فضلا عن مؤتمرات اخرى للشباب ، ولرجال الثقافة والاقتصاد حتى كانت مصر محور هذا التكتل . وكانت موسكو لا تتخلف عن كثير من هذه المؤتمرات ، وعن اكتساب الفرص فيها لكسب القلوب . ففي مؤتمر تضامن الشعوب الاسيوية ـ الافريقية الذي عقد ابتداء من ٢٦ ـ ١٢ ـ ١٩٥٧ ، قال ممثلها في معرض دراسة الشؤون الاقتصادية : «قولوا ما الذي تحتاجون اليه فنساعدكم ، ونرسل بقدر استطاعتنا الاموال اللازمة وذلك على شكل قروض ، او مساعدات دون اية شروط . »

وعدا هذه المؤتمرات الاسيوية ـ الافريقية فقد شهدت افريقيا مؤتمرات اخرى خاصة بشؤونها ، وكانت هذه المؤتمرات تضع المخططات المشتركة لتأييد دولها المثقلة ، والتعاون بينها ، ولتحرير الشعوب الاخرى ، وتأمين استقلالها ، وحسبنا التنويه باهمها :

مؤتمر اكرا عاصمة غانا ١٩٥٨ . مؤتمر الرابطة الافريقية بالقاهرة ١٩٥٨ . مؤتمر كوناكري عاصمة غينيا ١٩٥٩ . مؤتمر مونروفيا عاصمة ليبريا ١٩٥٩ . مؤتمر تونس ١٩٦٠ . مؤتمر الدار البيضاء بالمغرب سنة ١٩٦١ . مؤتمر اديس ابابا ١٩٦٣ .

وهذه المؤتمرات كلها بالاضافة الى جامعة الدول العربية ، والكتلة الاسيوية ـ الافريقية في جمعية الامم المتحدة كانت من جهة خير مساعد للشعوب في نضالها للاستقلال ، وكان من جهة اخرى افضل مؤيد للدول المستقلة خلال الازمات الحادة التي ما فتئت تواجهها من لون الاستعمار .

وهكذا فان غرسة المبدأ التحرري الانساني التي نبتت في القرن التاسع عشر في حقل الدول المستعمرة ، وترعرعت بمخلفات الحربين العالميتين اللتين نشبتا بين المستعمرين انفسهم ، ان هذه الغرسة الطيبة وجدت بعد ذلك رعاة لها في الداخل والخارج فاعطت ثمراتها الطيبات .
« واذا اراد الله امرا يسر له الاسباب . »

محمد جميل بيهم

رحلة حب

للكاتب الايطالي روسو دي سان سيكوندو

ترجمة عيسى الناعوري

تعريف : بيير ماريا روسودي سان سيكوندو ، كاتب ايطالي صقلي ، ولد في مدينة كالتانيسيتا ـ في اواسط صقلية ـ عام ١٨٨٧ ، وتوفي عام ١٩٥٦ ، اشتهر باعماله المسرحية اكثر مما اشتهر بغيرها من اعماله الادبية الاخرى ، ولكن كان له مكانة مرموقة كذلك في القصة الايطالية المعاصرة من اشهر اثاره الادبية والمسرحية رواياته : « الهرب ـ وبونينتينو » ومسرحياته : « القناع والوجه ـ بين الملابس الراقصة ـ والحلوة النائمة ـ ولاتزارينا بين السكان » وغيرها .

المترجم

* * *

عندما قفزت اورسولا من عل عن السياج المرتفع الى الارض المحروشة التي ينفتح عليها باب حانة الجسر القديم خيل الى الذين كانوا داخل الحانة ان كيس بطاطا او شيئا من هذا القبيل قد سقط هناك . ثم ان كيس البطاطا قد نهض وجعل يمشي ، وعندئذ انفجروا جميعهم في الضحك .

كانت ثياب اورسولا مرنخة بالمطر وملوثة بالوحل ، فهي تبدو منتفخة من الماء . وقالت وهي تدخل الحانة ما الداعي الى هذا الضحك ؟ انني امشي منذ اول امس ، وقد تلقيت بظهري كل المياه التي اندلقت من السماء .

ـ يبدو انك لا تخشين الماء ، ولكنك تجيئين الان لتشربي النبيذ .

ـ النبيذ والخبز ... فمن شاء منكم ان يقدمهما لي ...

فرد احد الثلاثة الذين كانوا يشربون قائلا : ايه ! هذه ازمنة صعبة لا تسمح بمثل هذا الترف . على كل حال ، كأس واحدة . . تفضلي ها هي

فاجابت اورسولا بعد ان تناولت القدح بيدها : اريد ايضا كرة خبز وقطعة جمبون ...

وفي هذه اللحظة ظهرت صاحبة الحانة خارجة من المطبخ ، فناداها واحد اخر من الثلاثة قائلا : ايه ، ايتها الانسة صاحبة الحانة هل سمعت ؟

فاجابت السيده جلترووده وهي تنشف يديها بالمريول : انني اسمع حينما تقدم النقود مع الطلب .

فضحك الثلاثة ، ولكن في تلك الاثناء ظهر ميكلا نجلو صاحب الحانة وراح يصرخ بان العمل لم يتقدم في ذلك النهار . لقد بلغت الساعة الحادية عشرة وما تزال الفراخ الستة لم ينتف ريشها بعد ، مع انه كان يجب ان تكون الان على المشواة ولن تكون السلطة قد قطفت من البستان ، ونظفت جميع الصحون والاواني الموجودة في الخزانة ، ومرت المكواة على دزينة من اغطية الموائد .

الساعة الواحدة والنصف يجب ان يكون كل شيء جاهزا .

فسال واحد بقرب احدى الموائد : وليمة كبرى ؟

ـ بالتاكيد ، رؤساء ورشات ، وبناؤو المصنع القائم على فم النهر .

فقالت اورسولا ، وما تزال الكأس في يدها : هل استطيع ان اقترح عليكم شيئا ؟



شيئا ؟

فاجاب ميكلا نجلو بخشونة : ماذا تريدين ؟

اقوم هذا النهار بخدمتكم : فانتف ريش الفراخ ، واكوي اغطية الموائد ، واغسل الصحون ... ولقاء ذلك تقدمون لي قطعة جمبون . !

ـ اذا كان هذا فقط فساقدم لك الحساء ايضا .

وتم الاتفاق . وقدم لاورسولا صحن حساء ، وكسرة خبز وقطعة جمبون . فجلست عند ركن احدى الموائد وراحت تلتهم الطعام بنهم شديد . غير ان الثلاثة الذين ثار بهم الفضول لم يتركوها بسلام .

ـ من اين تجيئي حتى يصيبك مثل هذا الجوع الشديد ؟

ـ اول امس كنت ما ازال في بيدونا فوق كامايوري

ـ في جبال الالب الابوانية ، كل هذا البعد ؟

ـ نعم ، هناك تماما .

ـ وقد اجتزت ليفورنو ؟

ـ لقد اجتزته .

ـ على قدميك طوال المدة ؟

ـ وكيف اذن ؟

ـ واين تريدين ان تذهبي ؟

ـ الى روما .

ـ انك تمزحين .

ـ كلا لست امزح

ـ وما الذي يمنحك القوة ؟

ـ الذي ينتظرني .

ـ ومن هو هذا ؟

فراح الثلاثة ينظرون في وجوه بعضهم البعض كأنما يريدون ان يضحكوا من جديد ، ولكنهم لم يجرؤوا على ذلك ، فالتفتوا من جديد الى اورسولا يفحصونها بانظارهم ، وغمز احدهم رفيقيه بعينه ثم هز رأسه متعجبا . وصمت الثلاثة دليلا على اشتراكهم في الفكرة عينها . جميلة! جميلة حقا ! يا للنور الذي يشع من عينيها !

وعاد احدهم يقول ، ليستحثها على الكلام : هل ينتظرك حبك ؟ اننا لا

نصدق ذلك .

ــ لا تصدقون ؟ هذا لسوء حظكم

ــ ولكن من هو الذي ينتظر فتاة سيئة مثلك ؟

ــ لست في نظرة فتاة سيئة

ــ ولكن في روما نساء معطرات ، انيقات . . .

ــهذا دليل على ان جميع تلك العطور والاناقات لا تملأ عينيه .

ــ لابد انه الان قد نسيك ، فانت اذن تقومين برحلة لا جدوى منها

ــ نسيني ؟ سأريكم الان .

ودفعت باحدى يديها الى داخل صدرها واخرجت منه ورقة رسالة مطوية عشر طيات وراحت تنشرها ببطء ، ونظرت اليها باشفاق ورقة ثم قدمتها لاحدهم على المائدة ، فراح يقرأ : « حبيبتي اورسولا ، لقد كافحت كثيرا لاشق لنفسي مكانا واخيرا تمكنت بفضل الله من العثور على عمل بستاني في قصر احد السادة ، ابعث اليك باثنتين وعشرين ليرة ، وعليك بهذه الليرات ان تجيئي الى روما حيث سنتزوج، بحمد الله . المخلص : « فنشنزو »

فقالت الفتاة : هل تصدقون الان ؟

ــ بكل تاكيد ، فالرسالة تتحدث بوضوح ، ولكن لو كان لديك بدلا من اثنتين وعشرين ليرة اثنتين وثلاثين لكان في وسعك على الاقل ان تاخذي القطار مسافة من الطريق .

ــ صحيح ولكن الصعوبة هي في العثور على من يعطيني عشر ليرات اخر .

فراح كل من الثلاثة ينظر في وجه الاخر . وكانما تفاهمت انظارهم ، فراحوا يبحثون في جيوبهم حتى جمعوا مبلغا ضئيلا .

وظهر ميكلا نجلو على باب المطبخ وقال للفتاة : مستعدة ؟

فجرعت اورسولا بقية كاسها ونهضت قائلة : مستعدة ساشتغل بهمة اربعة اشخاص وعند المساء ستكونون مسرورين من عملي ايها السيد .

ثم تناولت المبلغ الصغير الذي قدمه لها الرجال الثلاثة الكرماء ومضت الى المطبخ .

ــ ميكلا نجلو في المساء حينما تنتهي الفتاة من عملها ، اعطها انت ايضا مبلغا ما واعنها على ركوب قطار الساعة الحادية عشرة الذاهب الى روما . .

فقال ميكلا نجلو الذي كان من عادته ان يغتبط بالاشياء الغامضة :

ــ لماذا ؟ هل تسافر الى روما ؟

فاجاب الثلاثة من مائدتهم :

ستسافر الى روما لاجل الزواج .

ــ فهتف ميكلا نجلو عندئذ وهو يستقبل اورسولا في المطبخ :

ــ مرحى ! مرحى للعروس !

عمان — **عيسى الناعوري**

نداء الشوق

●

غدا سوف ياتي الربيع الندي — يرف على خاطري المجهد
وتزرع ورد الهوى كفه — بقفر فؤادي الجريح الصدي
وتشرق احلامه الفاتنات — على عالمي الموحش المربد
وتبزغ انواره المشرقات — كفجر ينير دروب الفد
تلون ازهاره الضاحكات — رؤى مع الوصل في موعد
يفيء اليه جناحي المهيض — ليمرح في ظله السرمدي
وتمرق عبر الخيال البعيد — طيوف فتى شاعر أغيد
ويهمس فيها مراح الشباب — وترنيمة العاشق الاوحد
ويخفق قلبي لضم الوجود — ويهفو الى الحلم المسعد
تداعبني ساحرات الجمال — فيزهو بعطر المنى مشهدي
وتلمع في خاطري السانحات — لذكرى هوى ظل لم يولد

* * *

جفاني الرقاد بصمت المساء — فبت غريق الاسى المزبد
وامخر وحدي خضم الضياع — شريدا بلا امل ارغد
عذابات روحي وآلامها — تفجرها شعل الاكبد
غدا : ان فجر الاماني الحسان — سيبسم في عالمي الاسود
غدا : انسجن العذاب الرهيب — تحطم أغلاله في يدي
وينجاب عني غمام الشجون — وعاصفة الالم الانكد
غدا : سوف اوقد شمع المنى — على ضوئه في الدجى اهتدي
وافتح قلبي لنور الحياة — فتغمر خضر السنى مقصدي
واستلهم الصور الرائعات — من الفكر الفر في معبدي
غدا : في سفوح الربى نلتقي — فيذكو هوى بعد لم يخمد

بغداد — **خضر عباس الصالحي**



محمد رجب البيومي

كيف أصبح النعمان ملك الحيرة

بقلم محمد رجب البيومي

***

في صباح يوم مشرق جاء كتاب كسرى الى الحيرة يستدعي ابناء المنذر جميعا الى حضرته ، وكانوا يتخوفون أن يسند الامر الى غير آل المنذر بن ماء السماء فطمأنهم كتاب كسرى على بقاء التاج في بيتهم ، وان قلق كل امير على نفسه ، اذ ان صاحب الايوان لم يعين احدا ، فيريح الاسرة من خطر المنافسة والتنازع ، وليته فعل !

وبدا كل امير يستعرض افخر ثيابه ، والمع سيوفه ، ليظهر في سمت رائع يأخذ بألباب البلاط في فارس ، وكان احرصهم على الزينة ، واشدهم تدافعا على العناية والاكتمال هو الاسود بن المنذر ، اذ انه عند نفسه وعند الكثيرين ممن يعرفون أولاد المنذر عن دراسة واختبار احق اخوته جميعا بالتاج !! وكان من الغريب لدى الناس ان ينصرف النعمان عما يهتمون به من الاختبار والاستعداد ولم يكن تعليل ذلك صعبا على اخوته ، فهم يعتقدون واهمين انه قميء ضئيل شائه الجلد دميم المنظر تقتحمه العين وتزدريه ، وان اللباس الفاخر سيجعله ضحكة هزاة بين الاخوة ، ولو انصف ، لتخلف عن الحضور فلا يتيح لكسرى ان يرمقه شزرا باحتقار واستخفاف ، على انهم لم يهتموا به حضر او غاب ، ولكنهم عقدوا بالخورنق مجلسا ضمهم جميعا ، وقام الاسود ليتحدث ، فذكر انهم ابناء اب واحد ، ولان يتولى احدهم زمام الملك في الحيرة خير من ان يصيروا سوقة كالناس ، واذا كانت مشيئة كسرى هي النافذة المحتومة ، فلا مدعاة للتباغض والتحرش ثم قال « وعلينا ان نظهر من المحبة والمودة والعطف على انفسنا امام الناس ، ما يرفعنا عن التنافس والتصارع مما يعود بأوخم العواقب على مكانتنا في العرب والايوان ، فاذا وقع اختيار كسرى على احدنا – كائنا من كان – فلا بد ان نسارع جميعا الى تعظيمه وتحيته ثم نلقي عليه سلام الملوك بمرأى من كسرى ومسمع فنصيح به « ابيت اللعن » ايها الهمام ، ونقف دونه ولا نتخطاه ، فاذا البسه كسرى التاج ، وهم العقد بالانفراط استأذنا منه بعد ان نستأذن من كسرى ، فيرى احترامنا له وتبجيلنا اياه . . .

ولن اقول ذلك ثقة انني صاحب الامر فلا واللات ما اعلم سببا واضحا يربطني بعاهل الفرس ، ولكني آخذ الحيطة لكم ولنفسي ان يأكلنا الناس شامتين اذا دب بيننا التنابذ ورجعنا متباغضين !!

ورأت الحيرة في الصباح مواكب الامراء تصطف في روعة وعظمة على ضفة السدير لتتجه بأصحابها الى المدائن عاصمة فارس ، واستعرض الناس روائع أنيقة من الرواد والجاه والشباب والنعيم والفتوة . اذ ان كل امير من اولاد المنذر قد خرج على قومه في احسن ثيابه ، واحفلها ، وقد اصطفى لنفسه نفرا من اصدقائه ينضمون بجيادهم المطهمة حول جواده ، فيؤنسون طريقه، ولا يألونه توصية واستعدادا ، ولكن ما للنعمان ينفرد دونهم بلباسه البدوي الغليظ ، ولا يصطحب غير صديقه عصام بن شهيد ! ان الناس ليرمقونه في قماءته ودمامته راثين مشفقين . وان الاسود اخاه ، ليرى ذلك في عيون القوم فيقول في نفسه : ما كان اغنى النعمان عن الاسهام في سباق يشينه ويرجع عليه بالازدراء ، ثم يوعز لصديقه الحميم عدي بن مرينا ان يذهب الى عصام بن شهيد فيقترح عليه ان يعرقل خطو النعمان حتى لا يسيء الى عائلته العريقة بمظهره الخشن الكريه ، ويمضي عدي فينادي عصاما بمرأى من النعمان ، في اخر موكب الامراء ، ثم يهمس في اذنه بما في نفسه ، فيبتسم عصام ابتسامة مقتضبة ، ويقول ان احد عشر اميرا سيخفقون ، ويفوز امير واحد فلا ضير على النعمان ، اذا شارك عشرة من اخوته مصيرهم المرير ! ويظهر عدي انه اقتنع ، ويرجع الى الاسود فيخبره بما سمع فلا يجيب

وما اسرع ما انتهى الطريق بالفتية الاملين ، فلاحت اضواء « المدائن »أمامهم في غسق الليل تعلن مجدها الباذخ ، وسلطانها الفريد ، وتراءى أمام العيون لهب النار يتوقد في المعبدالمجوسى ، فيبعث في النفوس رهبة غامضة ، تزداد وتعنف في عين الطاريء الغريب ! ثم يبلغ عنفها حدا لامثيل له حين يجد مئات الاساورة ومئات المرازبة يتقدمون الشعب طائفين حولها فيخشوع رهيب ، اما القصر الابيض فقد بهرهم فخامة بناء ، وجلال رونق ،

وبهجة حدائق ، وعظمة ايوان ، فاذا دخلوه مستاذنين رأوا درجات السلم من الرخام المرمري تمتد عالية مرتفعة ، وطيوب الريحان والقرنفل والياسمين تفعم المكان بأريج حبيب ، والاحراش في ملابسهم الحمراء ، وسيوفهم البيض يقفون على الدرجات المرتفعة متأهبين ، فاذا انتهوا الى حيث يقصدون تقدم اليهم عدي بن زيد نائب البلاط الكسروي في استقبال العرب ، فأبلغهم تحية العاهل وترحيبه ، واخذ يبالغ في الاحتفاءبهم مبالغة نادرة ، ولكنه تجاهل النعمان تجاهلا كان مدعاة التغامز بين الاسود وفريق من اخوته ولمحه النعمان الحصيف دون ان يكترث ، ثم قال عدى ! انكم ستقابلون كسرى في بهو التاج غدا مجتمعين . وسيحدثكم ويسألكم عن طريق ترجمانه الامين ، ثم تمرون بين يديه وتأكلون على مائدته ، ولمقابلة العاهل وحديث ترجمانه الامين وتناول طعامه مراسيم خاصة مدونة لدى ، وسأقرؤها عليكم واحدا واحدا، بترتيب السن كيلا يتقدم امير على اخيه ، ثم سأل عن اسنهم فتقدم اليه الاسود ، فأصطحبه الى الديوان العربي ، واظهر من البشاشة والترحيب ما اقنع الامير انه الاثير الحبيب ، ثم قال له في ملاطفة اذا تقدم لك الطعام فكن مهذبا رقيقا امام ترجمان الملك ثم اسألك هل تضمن للملك ولاء العرب فأجب بالايجاب ، فاذا قال لك هل تضمن ولاء اخوتك وتعاديهم من اجل كسرى فلاتطعه وقل في اعتزاز اننا ابناء رجل واحد ، ونحن لا نقف متحاربين فيضحك علينا الناس ، ثم تابع عدى حديثه يقول : فان ذلك وحدة مما يرفعك في عين الملك دون قول سواه ، فشكر الاسود شكرا حارا ، وخرج وفي قلبه من المحبة له مايعجز دونه البيان ، وتوافد الاخوة واحدا واحدا فسمعوا ما سمع الاسود ، ونصحوا بما انتصح به فخرجوا شاكرين مبتهجين ،حتى كان النعمان اخر داخل عليه ، فشد على يده في اهتمام وهمس في اذنه « لقد خدعت اخوتك جميعا من اجلك يا نعيم ، وظن ان عصاما رسولك قد ابلغك ما اريد ! فنظر النعمان نظرة متضائلة خاشعة وكأنه امام كسرى نفسه لا امام عدى بن زيد وقال عرفت كل شيء يا سيدي العزيز !

فابتسم عدى وسأل وماذا عرفت : فقال النعمان هأنذا قدمت في ثيابي الخشنة كما امرت ، وسأكل بعنف وغلظة كما اوصيت فاذا سألني الترجمان لم أعبأ باخوتي وصممت على حربهم طواعية للمليك .

فتألق وجه عدي بالزهو والاعتزاز ، وقال في ثقة المطمئن : غدا سيوضع على راسك التاج ! فنهض النعمان ليقبل يديه ، فتمنع عدى ، وأبى ثم قال له في خفة : اكتم فرحتك نعيم ! فان غدا قريب ، فرد النعمان هو ذا كيا سيدي ولن انسى صنيعك ما حييت !

وخرج منكس الراس يصطنع الحسرة والانقباض ، فانضم الى اخوته ، وخف اليهم عدي هاشا باشا فجعلوا يتسامرون ردحا من الزمن ، حتى اذا حان ميعاد التفرق عرف كل امير بيته من القصر ، فخف اليه على أمل ، وكلمات عدى لاتبارح اذهانهم جميعا فهم عليها حراص حراص .

لم ير الامراء طيلة حياتهم مشهدا كمشهد كسرى في قاعة الذهب بصدر الايوان فقد كانوا يظنون الخورنق اعظم بناء عرفه الناس ، وقد قتل جدهم الكبير النعمان الاول ابن امريء القيس بانيه « سنمار » كيلا يستطيع ان ينشيء سواه لاحد من البشر ، اما ابيض المدائن هذا الذي يدخلونه على كسرى فمما لايتصوره العقل ، او يقع في روع بدوى من العرب وجود مثله في دنيا الاحياء ، لقد بهرهم بهو العرش بما يتلالا في ارجائه من ذهب لامع تتراقص من حولة السنة النار ، فترمي انعكاساتها على النضار باشعة تأخذ الابصار ، اما عظمة ال ساسان فلا تبدو رائعة باهرة كما تبدو في قاعة الذهب بالذات ، انهم امام سلم من الذهب الخالص ترتفع درجاته عشرا حتى تصل الى مقعد كسرى في صولجانه ، وقد جلس العاهل العظيم وحده في ارتفاعه الشامخ يحدج اتباعه بعيني الصقر ، وقد بدا تاجه الذهبي فوق جبينه الفضي كما لم يبد تاج على مفرق انسان ! وهو ينظر في غير اكتراث الى زواره الوافدين ينحنون في طريقهم اليه من مبتدأ بهو العرش حتى يصلوا الى قاعة الذهب فيسجدوا مقبلين لاثمين وهم لايرفعون رؤوسهم حتى ينتهي من اصدار امره بما يريد ، فيخرج الزائر منحنيا كما قدم دون ان يتأمل طلعة الملك ! ! يا لغطرسة الملك في جبروته وعظموته بل في الوهيته الكاذبة ، واستعلائه البغيض ! ان عديا الشاعر المرهف ليدرك في نفسه سخف هذه المظاهر فيطوي ضلوعه على احتقار كظيم . ما ابناء المنذر فلم يبلغوا هذا المبلغ من عمق احساسه وسعة مداركه ، فقاموا بمراسيم الاستقبال خاشعين لائذين ، وقد نظر كسرى الى موكبهم من عليائه ثم اخذت عينه النعمان في مظهره الزري فوقع في نفسه حيث يريد ، واصدر امره الى ترجمانه باحتجازه ، وخرج الامراء دونه فلم يظنوا انه احتجاز ملك وتكريم ولكنه اعتقال تسفيه وتوبيخ ،وتأديب، وتراءى لاخيلتهم دم النعمان وقد ترقرق مهدورا مطلولا اذ تجرا على المثول في مثل هذا المظهر البغيض ، ولم يطل بهم الانتظار ، فقد خرج الترجمان بأخيهم ، فصحبهم معه جميعا الى خوان الملك ، وصاح بهم : انتم اضياف كسرى فهلموا الى طعامه هانئين وطفق ينظر مرآهم في القضم والهضم ، فوجد الادب المحتشم لدى الجميع غير النعمان فقد اكب اكباب جائع شره طماع ! حتى استحيا منه اخوته مشمئزين ، ولم يعلموا انه حاز بذلك ثقة كسرى ، وان الترجمان سيجعل مأكله الشره اداة تفضيل وترجيح هكذا تجمع كل الروايات التاريخية : وهو امر عجيب في بلاط متحضر كبلاط كسرى ! وقد قال في نفسه لقد صدقت فراسة العاهل البصير حين احتجز هذا الاكول

الغشوم ! وليس بينه وبين الملك في الحيرة الا ان يجيب على السؤال الاخير !

فلما فرغوا من طعامهم بدأ الترجمان بأسنهم وهو الاسود فسأله .

هل تضمن للملك ولاء العرب ؟ فعجل بالايجاب فاتبع يسأله وهل تضمن ولاء اخوتك وتقف امامهم من اجل كسرى ؟ فقال الاسود في تخاذل : نحن ابناء رجل واحد ولا نقف متحاربين فيضحك علينا الناس ! فابتسم الترجمان في دهاء ، وصرفه متلطفا ، واخذ يستدعي اخوته واحدا بعد واحد ، فلا يجد لديهم غيرما وجد لدى الاسود ، حتى قدم النعمان في النهاية فسأله هل تضمن ولاء العرب للملك : فصاح بصوت مرتفع اضمن ولاء العرب جميعا وقد بذلت دمي في خدمة المليك ، فاتبع يسأله وهل تضمن ولاء اخوتك ، وتقف امامهم من اجل كسرى فصاح النعمان في اندفاع : ان لم اقدر على اخوتي فأنا اذن سأعجز عن الجميع ، واكون قعرة العرب اجمعين !! . فهز الترجمان راسه متعجبا ثم قاده الى قاعة الذهب فاكب على البساط عند الدرجة الاولى من السلم ساجدا مقبلا ، فرمى له كسرى بالتاج من مرتفعه فألبسه الترجمان اياه ، وخرج به الى الديوان العربي ، حيث ينتظر عدى ، والنعمان لايكاد يملك نفسه من الفرحة والابتهاج وان قلبه على غلظته وفظاظته ليدق في ضلوعه كالطائر المهتاج ، وان أنفاسه لتتلاحق حتى يلحظ عدى تغيره واهتياجه فيسعفه بعبارات التهدئة والتلطيف ، فاذا استعاد هدوءه وفاء الى ثباته تطلع اليه الترجمان ليقول في نصح وتوجيه « اعلم ايها الملك الناشيء ان كسرى قد استهان بآل المنذر منذ مصرع عمرو بن هند ، ومنذ تحزب اهل الحيرة على ابيك المنذر ، حتى اعتزم ان يجرد جيشا من الاساورة يجاوز الاثني عشر الفا من الجنود ، فيغزو بهم دياركم ويهدم منازلكم وخيامكم ، ثم يقيم حاكما على الحيرة من ابناء فارس ينفذ مشيئته في الاعراب ، ولكن عدى بن زيد هذا ، قد اقترح عليه غير ذلك ، وقال ان في بني المنذر من يستطيعون الحكم في غير ضعف أو خذلان ، واوعز مصرع عمرو بن هند وفشل المنذر الى اسباب لاترجع الى ضعف الحاكم او تدهوره ، وها انت قد وضعك العاهل موضع الاختبار

فعليك ان تظهر ما يرفعك في الايوان ويعليك ! انت وحدك المسئول عن صد غارات الفساسنة في الشام ، وعن قمع اعتداءات المغيرين من لصوص البادية وقطاع الطريق ، على القوافل وارباب التجارات ، وان كسرى ليعلم في الاعراب حبا للسلب والنهب والاغارة ، وما أقام مملكة الحيرة بجانب ملكه الا لتقف من هؤلاء موقف القهر والتأديب ، وسنمدك بما تريد من السلاح والذهب ، ونخول لك ما يرضيك من السيطرة والجاه ، وها انت ذا تقدم على امتحانك الاول ، وستصلنا انباؤك في اوقاتها كما اتت أنباء النعمان الاعور والمنذر الاول ، والمنذر الثاني والمنذر الثالث وعمرو بن هند والمنذر الرابع من ابائك واجدادك ، وهي لدينا مسطرة في الديوان العربي ، وان شئت قرانا عليك منها ما تريد ! .

فتطلع النعمان يقول : سيعلم كسرى العظيم عن كل حسن جميل ولست اجهل ما كان عليه آل المنذر في ايامهم الاخيرة من ضعف وانهيار ، وقد بحثت فيما بيني وبين خاصتي الاقربين عوامل ذلك وادركت ما يجب ان ينهض به الملك في الحيرة عوامل ذلك وادركت ما يجب ان عن شيء سابق يرفعه الترجمان الى الملك العظيم ولكن اعمالي ستصله سريعا متحدثة بما يرضيه ويبغيه وانا بعد عبده المطيع ! .

قال الترجمان قم الى عملك ظافرا منصورا ، فقد اقررت عيني بك ، وسأرفع الى مولاي ما لمسته فيك مستشهدا بعدي ، فهو راعيك في البلاط وحاميك ولولاه ما طمع ال المنذر من الملك في شروى نقير !

ثم نهض فنهض النعمان ، وخرج مع عدي الى اخوته ، فكان منظر التاج على رأسه مدعاة الذهول والارتباك في انفس الجميع ، اما الاسود فقد وقع على الارض مغشيا عليه ، ونهض اليه اخوته يسعفونه وينشطونه فصاح بهم النعمان في غلظة واعتداد :

هيئوا اخاكم ، واذهبوا امامي مسرعين الى الحيرة ، فسأصل كالمعتاد من تقاليد المناذرة بعد سبعة ايام في موكب الاساورة لاراكم جميعا في استقبالي مع المحتفلين على ضفة السدير ، وقد أخذ على مولاي عهده ان انكل بكل متمرد من اخوتي قبل ان انكل بالابعدين .

وساد الصمت لحظة قصيرة فانبرى النعمان يقول :

لقد صار عصام بن شهيد حاجب القصر من الان ، وسيحمل اليكم منه ما يخصكم من متاع ، وهو وحده صاحب الاذن في الخورنق فاذا شئتم بعض الامر لدى فاستأذنوه ليجيب بما يشاء !

ثم انصرف النعمان الى الديوان مع عدي وعصام ، ليقضي ايام الضيافة السبعة في البلاط .

الفيوم — **محمد رجب البيومي**



بولس شحاده

بولس شحاده

بقلم البدوي الملثم

تمهيد : هال صديقي النابه الواعي الدكتور ناصر الدين الاسد وافزعه ، ان يواجه مؤرخ الادب الفلسطيني المعاصر فراغا في ادب – الفردوس المفقود – ليس من السهل املاؤه ، وحلقات مفقودة يتعذر على الكاتب العثور عليها وربطها بأخواتها !

والباعث على هذا الفراغ السحيق ان الذين تصدوا لتاريخ الحركة الادبية المعاصرة في فلسطين اهملوا هذا الجانب اهمالا عفويا ... وكان من الميسور تفادي هذا النقص الملحوظ لو ظلت فلسطين في ايدي أصحابها العرب، اذ بعد أن اغتصبها علوج الصهيونية وزبانية الاستعمار ذهبت المكتبات العربية ، عامة وخاصة ، وولت مذكرات الساسة وحملة الاقلام في ايدي الغزاة ، وبذلك اتسع الفراغ ، وتبعثرت حلقات السلسلة !

ورغم اليأس الذي ينتاب حامل القلم ، والالم الذي يعتصر فؤاد الباحث المنقب ، ورغم قحط المصادر وانعدام الوسائل ، استطاع العامل الصامت المؤمن الدكتور ناصر الدين الاسد ان يصنف كتبا قيمة ثلاثة هي :

١ – الاتجاهات الادبية الحديثة – في فلسطين والاردن
٢ – الشعر الحديث – في فلسطين والاردن
٣ – خليل بيدس – رائد القصة الحديثة في فلسطين

وفي مقالات متباعدة الازمان نشرتها «الاديب» الكبرى بقلمي استطعت ان اصور بضع حلقات من السلسلة المفقودة في فلسطين والاردن ، ورائدي الحكمة المأثورة « ما لا يدرك كله ، لا يترك جله !» .

وفي مقال اليوم سأتناول اديبا موهوبا من السلسلة المفقودة له مكانته الرفيعة في الادب الفلسطيني المعاصر هو المرحوم بولس شحاده !

والداه ومولده ودراسته : والده – المرحوم شحاده ابو جريس ، تلقى علومه في مدرسة المصلبة الارثوذكسية بالقدس ، ووالدته – حنه بنت المعلم جريس ابي عبدالله وقد اشتهرت بذكائها وظرف حديثها وروعة نكتتها ، وتميزت بالشجاعة والرجولة واكرام الضيف !

مولد المترجم له : ولد المرحوم بولس شحاده سنة ١٨٨٢ في مدينة رام الله وتلقى علومه في مدرسة صهيون الانكليزية بالقدس ، وبعد ان نال شهادتها الثانوية انتسب الى كلية الشباب « الكلية الانكليزية فيما بعد » وتلقى الادب وفقه اللغة من المربي العربي الشهير المرحوم نخله زريق ، وكان التعليم أول عمل زاوله الفقيد في مدرسة الروم الارثوذكس بغزه ، وفي عام ١٩٠٧ نقل مديرا للمدرسة الارثوذكسية في حيفا ، وما أن جذبته السياسة الى رحابها حتى انخرط في حزب الاتحاد والترقي وكان من اعضائه البارزين المتطرفين في فلسطين .

وفي مناسبة وطنية وقف الفقيد ذات يوم في ساحة الجرينة بحيفا ملتفا بالعلم العثماني والقى خطبة حماسية دعا فيها العرب الى تحطيم الاغلال وفك القيود والانعتاق من استبداد الطورانيين ، وطالب بسقوط عبد الحميد الطاغية وزبانيته فحكم عليه بالاعدام فهم المسئولون بالقبض عليه لكن اصدقاءه في غزه تمكنوا من تهريبه الى القاهرة .

وفي القاهرة عاش خطيب الامة المشردة حتى اعلان الدستور العثماني وسقوط عبد الحميد ، وكتب في طائفة من الصحف مقالات قيمة عالج فيها التربية والتعليم ونشرها في المقتطف وعلق عليها الدكتور يعقوب صروف بقوله : « انها خير ما كتب في هذا الباب ! » وخلال وجوده في مصر ربطته بالمرحوم انطون الجميل صاحب الزهور وبالفقيد فيلكس فارس صداقة عميقة الجذور وكان يحرر في المؤيد والهلال والزهور .

بعد الدستور : بعد اعلان الدستور العثماني عاد الفقيد من مصر الى فلسطين وعين معلما في المدرسة الارثوذكسية بحيفا وفيها تعرف بالمعلمة وديعةقمري كريمة القس سليم قمري فخطبها واقترن بها ، وفي عام ١٩١٠ نقل مديرا للمدرسة الارثوذكسية في بيت لحم وظل يديرها حتى اعلان الحرب الكبرى ١٩١٤ وفي هذا العام عين كاتبا عسكريا في بئر السبع ، وبعد فترة قصد « جنين » – من اعمال فلسطين – وعين مساعدا صيدليا وعملمع شقيقه الدكتور نقولا شحاده الذي اختير عهد ذاك طبيبا لبلدية جنين ومسئولا عن مستشفى الجيش العثماني هناك وفي عام ١٩١٨ فجع بقرينته « ام عزيز » وواراها التراب في قرية ام الفحم من اعمال قضاء جنين .

في حقل الصحافة : ما كاد الفقيد يخرج من الكلية

الانكليزية بالقدس حتى شرع يراسل عدة صحف عربية وكانت مقالاته تحت عنوان « اشواك وازهار » في جريدة لسان الحال البيروتية من خير ماكتبه في فجر صباه .

وبعد ان وضعت الحرب العظمى اوزارها وخمدت نأمتها جاء القدس واصدر فيها جريدته مرآة الشرق باللغتين العربية والانكليزية ، وصادر العدد الاول منها في ١٧ ايلول ١٩١٩ فكانت اول صحيفة عربية صدرت في فلسطين بعد الاحتلال البريطاني . وفي عام ١٩٢٣ اقترن بالاديبة الراقية السيدة ماري صروف من مواليد يافا وقد عرفها بمقالاتها التي كانت تنشرها مرآة الشرق وفي عام ١٩٢٩ اغلقت حكومة الانتداب هذه الصحيفة الجريئة الى اجل غير مسمى لنشره قصيدة من نظمه دعا فيها الشبان العرب الى الثورة على البغي ، والتمرد على الطغيان ، فحز في نفسه هذا الجزاء الصارم فلاذ بداره مغلوبا على امره الى ان لحق بربه !

في معارف فلسطين : وبالاضافة الى عمله الصحفي المرهق عين استاذا للتاريخ والادب العربي في المدرسة الرشيدية بالقدس خلال سني ٩١٩ — ١٩٢٢ .

من اثاره القلمية : وفي عام ١٩٢٤ صنف كتاب « تاريخ القدس » بالاشتراك مع صديقه الدكتور خليل طوطح وفي عام ١٩٣٤ عرب عن الانكليزية رواية « حسن » وهي في الاصل بقلم احد قناصل بريطانيا في بيروت ، فصبها الفقيد في قالب تمثيلي موفق ومثلت هذه الرواية على مسرح جمعية الشبان المسيحية بالقدس ورصد ريعها لمدرسة بيت لحم الوطنية لمؤسستها السيدة رتيبة شقير .

في الحقل الوطني : من البدهي ان تجذب السياسة هاوي الصحافة الى هيكلها فيدخله طائعا مختارا ، فكان الفقيد عضوا بارزا في اللجنة التنفيذية الفلسطينية برئاسة المرحوم موسى كاظم الحسيني وكانت تتألف من ٤٨ عضوا ، وظل يعمل فيهابلا انقطاع خلال سني ١٩٢٦ — ١٩٣٨ .

وانتخب الفقيد عضوا في المؤتمر العربي الفلسطيني الاول المنعقد في القدس وعضوا في المؤتمر العربي الفلسطيني الثاني الذي حظرت حكومة الانتداب عقده في فلسطين لكن المترجم له ونفرا من اخوانه العاملين في الحقل القومي اعتبروا مؤتمرهم الثاني منعقدا في فلسطين واتخذوا مقرراتهم في دمشق .

وانتخب صاحب مرآة الشرق عضوا في المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث المنعقد في حيفا وعضوا في في المؤتمر الخامس المنعقد في نابلس ، وتميزت صحيفته مرآة الشرق بانها كانت مسرحا لاقلام المعارضين الفلسطينيين ، وتميز صاحبها بالجراة ونقد العاملين في الحقل الوطني ، وكانت سياسته تقوم على اساس « خذ وطالب » فناله من جراء معارضته عنت كثير ، ودبج مقالات في صحيفته تنبأ فيها بالمصير الاسود الذي ينتظر عرب فلسطين اذا هم ثابروا على سياستهم السلبية في معالجة قضية الوطن الكبرى ، وفي عام ١٩٢٥ اسس مع اخوان له حزبا سياسيا معارضا باسم الحزب الوطني وكان يراسه الشيخ سليمان التاجي الفاروقي .

ومن الانصاف للتاريخ ان نقول : كانت للفقيد يد طولى في اختيار الشيخ كامل الحسيني مفتيا للقدس واختيار شقيقه سماحة الحاج امين الحسيني رئيسا للمجلس الاسلامي الاعلى وذلك بتاثير الاستاذ شحاده على صديقه السر وندهام ديدس اول سكرتير عام لحكومة فلسطين ، لكن شاب صداقته بالحاج امين شيء من العداء نتيجة لتحوله السياسي .

نماذج من شعره :جنح الفقيد منذ فجر صباه الى الادب والشعر ، ونظم عشرات القصائد في سن مبكرة ، ويوم كان معلما في عكا اقترحت مجلة الهلال على الشعراء تعريب قصيدة انكليزية ، وعينت للفائز الاول جائزة مالية مقدارها عشرون جنيها مصريا ، وفي الموعد المضروب كان الاستاذ شحاده الفائزة الاول ودونك قصيدته الفائزة بعنوان « لا يدق الناقوس فيذا المساء !» :

وقفت بين لوعة وبكاء ... ترقب الشمس في عنان السماء
غادة تملأ العيون وقارا ... زانها الله بالسنا والثناء
وعليها من الجمال جلال ... كجلال الملوك والامراء
وعلا وجهها الشحوب اضطراب ... كاضطراب الحيران في البيداء
نظرت شمس لندن وهي تمشي ... بدلال في القبة الزرقاء
فعلا وجهها الجميل قنوط ... كقنوط الفريق في الدأماء
ثم قالت بذلة وانكسار : ... أيها الشمس فيك كل رجائي
خففي السير في الفضاءوخلي النور ... يردي كتائب الظلماء
وانيري قلب الكئيب المعنى ... وقفي فوق لندن ان تشائي
ان لي في السجن صبا حبيبا ... صادق العهد والولاء والوفاء
سجنوه ظلما ولم يرحموه ... ولكم في السجون من ابرياء
يمرح الجاني آمنا مطمئنا ... وينال البريء شر الجزاء
ظلمات السجون يا شمس أضحت ... مدفن الاتقياء والانقياء
هكذا تحكم النواميس في الار ... ض فيلقاها الاناس بالاصغاء
ذكرت ذلك الكلام وقالت : ... « لا يدق الناقوس في ذا المساء!»

ايها الخادم اللطيف رويدا ... أنت رب المعروف دون مراء
ارحمن من في السجن بات يؤوسا ... وتعطف على فتى الهيجاء
وتحنن علي وارث لحالي ... واستجب ايها الشهم لدعائي
فحبيبي في السجن يلقى رداه ... عند دق الناقوس في ذا المساء
هكذا تاخذ الشريعة مجـ ... راها وتقضي عليه شر قضاء
فاذا كنت في زمانك صبا ... لا تدق الناقوس في ذا المساء!

أيها الغادة التي لا تحاكى ... بجميل الصفات بين النساء
عشت ما عشت خادما مستقيما ... لم أخن في السراء والضراء
يذهب المرء للخلود ويبقى ... بعده في الوجود حسن الثناء
واجبي سنتي ومجدي وفخري ... وكمالي وبهجتي وضيائي
فهنيئا لكل من قام بالوا ... جب طوعا في الضيق اوفيالرخاء
هكذا أنزل الثرى مطمئنا ... وأدق الناقوس في ذا المساء!
قد خلقنا للواجبات فاذا أكـ ... ملتها حزت أثمن الاشياء
هكذا ادخل الثرى مطمئنا ... وادق الناقوس في ذا المساء !

سمعت ذلك الكلام فسالت   عبرات المليحة الحسناء
واصاب الفؤاد منها خفوق   كخفوق الذبيح وسط الماء
وتراءى لها السجين قتيلا   قائما بين أرضها والفضاء
وتجلى روح الحبيب لديها   ملكا حاملا بنود الوفاء
وعليه من الضياء وشاح   فاستنارت بنوره الوضاء
وتمشى الحياء في وجنتيها   كتمشي الصهباء في الاعضاء
وأشارت الى السجين وقالت   بتأن وعزة وإباء
أيها الخل عش هنيئا معافى   لا يدق الناقوس في ذا المساء!

ودنت ساعة القضاء فمادت   راسيات الجبال وسط العراء
وغشى الكون والانام سكون   كسكون الاجسام بعد العناء
وتوارت في البحر شمس المعالي   بعد أن ودعت بني الاحياء
وأمدت ذات العفاف بفكر   لم تلده قرائح الشعراء
ارتقت سلم الكنيسة قفزا   مثل قفز الظباء في الصحراء
ولسان الناقوس قد امسكته   بيديها في القبة العلياء
خطرت واللسان في قبضتيها   مثل غصن يلوح وسط الهواء
حين دق الناقوس شيخ أصم   قد برته يد الضنى والبلاء
منظر لم يسبق له من مثال   منذ سوى ربي بني حواء
مثلته فتاة لندن يوما   فتغنى الداني بها والنائي
غادرت قبة الكنيسة سكرى   من دماء الجروح لا الصهباء
وكروميلا شاهدت من بعيد   فجرت نحوه بلا ابطاء
وأرته الدماء في وجنتيها   وأرته تهشم الهيفاء
ثم قالت برقة ودلال   وانكسار ولهفة وعناء
اعف عنه مولاي وارث لحالي   يا معزي الباكين والبؤساء
ايها الغادة اذهبي بسلام   لا يدق الناقوس في ذا المساء!

وفي عام ١٩٢٩ اقترحت الهلال على الشعراء ترجمة ابيات انكليزية الى العربية فنال الاستاذ شحاده الجائزة ودونك الابيات الفائزة :

تقتضي الاعصر الجديدة ناسا   ومعدات في الحياة جديده
وتسير الدنيا فتعتق فيها   سنن للجدود كانت مجيده

وفي عام ١٩٤١ ، والحرب الثانية مشتعلة اللظى ، نظم قصيدة في ثلاثة اناشيد شجب في النشيد الاول الديكتاتورية واشاد بمحاسن الديمقراطية في النشيد الثاني وصور في النشيد الثالث النصر على قاب قوسين ، ودونك تلك القصيدة :

النشيد الاول

جلت بين الكواكب الزهر حرا   وقطعت الفضاء طيا ونشرا
وتركت الربوع التي انجبتني   والليالي من الفواجع سكرى
سالتني النجوم عما اتى بي   ولماذا أبكي بكاء مرا؛
قلت يا زهر انني شاعر جئت اشكو   لاله السماء نكرا وفجرا
ان في أرضنا الجميلة قوما   ملأوها بؤسا وظلما وكفرا
تخذوا الغدر والخيانة دينا   شربوا الاثم والدعارة خمرا
قيدوا الفكر واللسان بغل   ورأوا في الحروب مجدا وفخرا
قتلوا الابرياء من غير ذنب   وأماتوا الشعوب جوعا وقهرا
نبذوا الدين والشرائع والاخ   لاق والعرض والفضائل جهرا
أي بيت لم يتركوه خرابا ؟   أي ارض لم يتركوها قفرا؟
جعلوا الارض قطعة من جحيم   وأسالوا الدماء فيها نهرا
يا نجوم السماء هذا حديثي   سكبته دموع عيني درا

النشيد الثاني

ماجت الارض والسماوات لما   رن صوت الاله في الاذان
وتجلى الجبار في موكب النور   ونادى بالعز والسلطان
انا رب السماء والارض والبحر   ورب الانسان والحيوان
انني رب العالمين جميعا   مصدر الخير والهدى والحنان
قد خلقت الانسان حرا كريما   ذا فؤاد في وذا وجدان
يسرح الطير في الفضاء طليقا   ويغني حرا على الاغصان
آمر الناس بالاخاء والمساواة   وحب الانسان للانسان
ان في العدل نعمة وحياة   وهو أس الوجود والعمران
قل هو الحق قوة ليست القوة حقا ذا منهجي وبياني
واستشرهم في الامر قول صريح   يسير على مدى الازمان
أمرهم شورى بينهم هو شرعي   راسخ في الانجيل والقرآن
هكذا هكذا تعيش البرايا   بسلام وغبطة وامان

النشيد الثالث

أيها الشاعر الكئيب تبسم   ان بعد العسر الشديد ليسرا
وتجلد اذا المصائب حلت   كل ليل لا ريب يعقب فجرا
وترنم فالنصر آت قريبا   يصرع الخير في الختام الشرا
سيسود الخلاص كل قبيل   ويعم السلام برا وبحرا
وتغنى الاجيال اغنية النصر   وتتلو النشيد حمدا وشكرا
ويطل الربيع يرقص بشرا   وتفوح الرياض طيبا وعطرا

وفي اخريات ايامه نظم « ابو عزيز » يرحمه الله البيتين التاليين وقد اصطبغا بصبغة خيامية فلسفية :

سيضم التراب يوما رفاتي   وتغذي الزهور في القبر قلبي
وغرامي يظل في الارض ذكرى   ويذيع النسيم نفحة حبي

وقبل وفاته بأيام نظم الفقيد قصيدة بعنوان « قيثارة الحب » منها قوله :

ايه قيثارتي لك القلب اوتار   وروحي يفيض بالانغام
فاعزفي سرمدا نغم الحب   الى أن أغيب في أحلامي
فأغاني الافراح من فيض حبي   وأغاني الاحزان من آلامي
واذا ما الطيور في الروض غنت   كان في شدوها صدى الهامي
سكر الزهر يوم اودعت حبي   في ثنايا الاوراق والاكمام
وحياتي قصيدة نسجتها   ربة الشعر في سكون الظلام

نموذج من نثره : وفي ربيع عام ١٩٢٠ نشر المرحوم شحاده مقالا في الهلال على صورة تأملات وخواطر ، وفيه تناول عصبة الامم فلاقت تأملاته وخواطره استحسان ذوي الاقلام الحرة والافكار النيرة ودونك بعض ماجاء فيه :

« ليست عصبة الامم الا حلما من الاحلام الجميلة التي دغدغت أدمغة الرجال العظام فقد حلق هؤلاء بارواحهم في الملأ العلوي ونسوا انهم عائشون على الارض ، أرض المطامع والفساد !

ها قد مرنحو الفين واربعمئة سنة على نبوءة اشعيا والعالم لم يطبع بعد سيوفه سككا ورماحه مناجل ، بل بعكس ذلك فان الالات الجهنمية بلغت مداها البعيد ، وهذه الالات الفتاكة ترتقي وتتقدم بارتقاء الانسان وتقدمه، وبين السلاح في العصر الحجري وبين المدفع والصاروخ في العصر الحاضر من الفروق مابين انسان الاول وابن لندن وباريس ونيويورك وبرلين ! .

يوهنا الهولندية

سحائب الوحدة عبر الطريق — تدق اعماقي
والغربة النكراء سد عميق — يذبل اوراقي
والهم مثل الليل ليل الغريق — لون احداقي
في الفجر العاتي كموج صفيق — وشوشت اشواقي

* * *

سألت جاري الحلو في حاننا — : من اين يا حلوة ؟
من اين جاء الحسن من ارضنا — أم امطرت ثروة ؟
يا باعث الرائع من شعرنا — وخالق النشوة
أيجمع العالم في جنبنا — ونحن في شقوة ؟!

* * *

وسالت الحلوة في الكف
كما تسيل الخمر في الجوف
ومر ليل الحلو كالطيف
سرت من الحان الى جنبه
انشق اطيابه
ارشق اثوابه
بالف نجم من تفاريدي
قبلته من كل اعماقي
لموعد آت
لكنه ما جاء في الموعد !

* * *

فاطبقت سحائب الوحده
والضجر العاتي

بغداد — هلال ناجي

للساسة كلمات منمقة يخدرون بها اعصاب شعوبهم وليست عصبة الامم الا من هذه الكلمات الجديدة التي تتخدر بها اعصاب الناس الى ان لا يرى ساسة المطامع فائدة منها فيفتشون في حقائبهم ويقلبون دفاترهم لعلهم يجدون الفاظا اخرى يخدرون بها الامة ويحملونها على المعامع ، وهم لا يعدمون مثل هذه الالفاظ المنمقة الخلابة كلما احتاجوا اليها !» .

هذه عجالة قلم صورنا فيها أديبا ملهما من أدباء فلسطين الاعلام الذين تناثرت حلقاتهم ، وتطايرت حباتهم ، وهيهات ان ينتظمهم عقد واحد او سمط موحد !! .

عمان — البدوي الملثم



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

* * *

ايمان .. وكفر !

جلست اليه ـ بعد غيبة طويلة عن مجلسه ـ اجاذبه اطراف الحديث على نحو ما تعودت ان افعل معه ، فاذا به يختزن كلاما كثيرا في نفسه ، فينطلق يتحدث به كانما هو يرخي عنانه جملة واحدة . ويقول فيما يقوله ـ وهو كثير ـ : « اين انت من هذه الاحداث التي ما فتئت تتصارع من حولنا ، فيحطم بعضها بعضا ، ويقوم احدها على انقاض سواه ؟.. اجل اين انت ؟.. قل فاني متشوق لان اسمع راي هؤلاء الذين يتحدثون الى الناس باقلامهم وانت واحد منهم .. وان تواضعت ! » .

قلت : عهدي بسؤالك انه عميق .. متشعب المسالك .. شائك الدروب .. في كل متجه منه هاوية سحيقة ، طالما افزعني أن اطل منها او اشرف عليها .. ولعله ينقذني من ذلك كله ان اتذرع لك بان موقفي لا يجاوز حدود ذلك القول المأثور : « اللهم حوالينا ولا علينا .. »

قال : « وان هذا الجواب لن يسكتني عن ملاحقتك بالسؤال اياه ، فأين جوابك ؟.. جوابك الذي يملأ جوانب الحقيقة .. » .

قلت : انك وضعتني بين من يحدثون الناس باقلامهم، وهؤلاء الذين اسير بينهم يحدثونهم بالادب ، فلا يفيدون مما يحيط بهم من احداث ، اكثر من اقتباس مشهد او نتزاع صورة ، يتكئون عليها حين يكتبون ، ويفرغون فيها من جهدهم الفني ، ويسبغون عليها ثوبا من الخيال ، يجعلك لا تعيدها الى الواقع الذي حدثت فيه الا بصعوبة وجهد ، ومن اجل ذلك فهم لا يدخلون في مجال السياسة، الا اذا كان هذا المجال ركيزة يقيمون عليها صورة من صور ادبهم .. ، والادب ـ كما تعلم ـ يلازم جانب السلامة ، فلا يصطدم باحد ، ولا يتخذ خصما يجابهه بخصومته ، وانما هو يلامس اطراف الحقيقة ملامسة طابعها الرفق والتودد واللين .

وكنت اصادف يوما هؤلاء الذين يدخلون معترك الاحداث ، ويعتنقون المبادىء الحزبية ، ويندفعون في غمار هذا المعترك طاقة جهدهم ، ثم يتلفتون الي والى امثالي ، ممن لا يسيرون معهم ، فيتهمونهم بالجمود والتخلف .. بل ربما اسرف بعض المتحمسين منهم فاتهموا من لا يسير في ركابهم بالانحراف .. وعدم الاتزان .. والعمالة .. وما الى ذلك مما يمتلىء به قاموسهم ..

وها هم اليوم يتراجعون عن سيرهم الجامح، ويتنكرون لذلك المبدا الذي ساروا خلفه بدافع من العاطفة ، وناضلوا تحت رايته الى ما يبلغ حد المجازفة والتفريط ..

اجل ، انهم يتراجعون عن ذلك كله ، يتراجعون عن ايمانهم الصارم العنيف المتطرف ، الى كفر اهوج متطرف ..

فأين تريد لي ان اقف حيال هؤلاء ابعد من حدود ذلك القول المأثور : « اللهم حوالينا ولا علينا .. » .

كلا يا اخي . انني لا ابيح لنفسي ان اجاوز ذلك الى اكثر من ان اقول : ما كان اغناهم عن ايمانهم ذاك ، ثم ما كان اغناهم من بعد عن كفرهم فيه !

وحين بلغت هذا المدى من كلامي ، قال صاحبي يؤمن على قولي :

« صدقت .. ما كان اغناهم عن ذلك الايمان .. وهذا الكفر ..! » .

ذو الوجهين ..

عرفته واحدا من آحاد ، طالما دفعتهم الحياة في طريقي ، و طالما دفعتني في طريقهم فعرفتهم او عرفوني . وجمعتني به مصادفة ، وكان ذلك في مجلس عقدته احدى هذه المناسبات التي كثيرا ما تعرض في حياتنا ، وفيما نحن نخوض في مختلف القول ، دخل علينا رجل لم يلبث ان هب صاحبي يستقبله ، ويقدمه الينا بهالة من المدح والثناء ، ولم يكن في ذلك ما يلفت نظرا او يثير

تساؤلا . ثم انصرف الوافد عن مجلسنا ، فما كان من المادح المغالي في مدحه الا ان نزل في ساحته ولم يترك عيبا الا ونسبه اليه . وقال لي قائل كان الى جانبي : افلا سألته اي قوليه هو الصواب ؟. قلت : سوف افعل ذلك .. فأمهلني ..

وسألته وما زلت اترقب اجابته ، ولئن اردت ان تعرف كيف كان سؤالي فدونك :

تلاقي بوجه صديق حميم	**وفي الغيب تفعل فعل المعادي**
فهذا (فلان) متى حل كا	**ن رفيع العماد طويل النجاد**
زكا فرعه فهو فذ الرجال	**ورمز الكمال وفخر البلاد**
مآثره فوق علم العليم	**وفي قومه كم له من ايادي**
وان غاب اصبح دون الانام	**يجانب في القول حر المباديء**
يعيش على الناس عبئا ثقيلا	**ويذكر بالذم في كل نادي**
فيا صاح امرك امر عجيب	**ووصفك يضحك صم الجماد**
فهب ان قولك عين الصواب	**ففي اي وجهيك وجه السداد ؟**

عند سدرة المنتهى ..

رايته هناك ..

بعيدا هناك وراء الاجيال ..

وهو يوغل في السير بين كثبان الرمل المتماوجة على راس جيش جرار ، وقد اخذ منه ومن صحبه العطش كل ماخذ ، وتثاقل عليهم من الحر اللافح ما تخور له العزائم ، وهم يتجهون الى تبوك على حدود الشام ، ويرسلون الرسل عن يمين وعن شمال يبحثون لهم عن الماء ، وهم جميعا معلقون بخيط واهن من رجاء ، ما اسرع ما تقطعه ضراوة اليأس ، فيبدو من ورائه شبح الموت ، يطل بوجهه البغيض ، ويقترب خطوة اثر خطوة .

وفجأة ، وعلى حين غرة يتكاثف فوق رؤوسهم ضباب ، لا يلبث ان ينعقد سحابا يمطرهم مطراً وابلا ، يستقون منه ما شاؤوا ، ويملأون اوعيتهم يتزودون بها لما بين ايديهم من مراحل الطريق ..

وتتجه انظار الجند الى قائدهم العظيم ، الى نبيهم المرسل ، ليقولوا له : « انما هي معجزتك يا رسول الله .. » ولكن النبي الصادق الامين حاشاه ان يستغل ايمانا اوحت به مرارة الحاجة ، ويسكت على وهم اطمان اليه اصحابه ، فيرد عليهم قائلا : « انما هي سحابة مارة .. » .

ثم رايته كرة اخرى ..

وبعيدا وراء الاجيال ..

رايته يقف على حافة قبر صغير ، يوارى به طفله الوحيد ، الذي كان بسمة الرجاء بعد اليأس ، اذ رزقه حين بلغ الستين من عمره . ولم يذهب به الجزع كل مذهب ، بل اعتصم بالصبر ، وسلم امره لقضاء الله .

وتشاء المصادفة ان تكسف الشمس يوم وفاة ابراهيم ، فيتهامس الناس فيما بينهم : « انها معجزة اكرم الله بها بنيه .. » . ولكن النبي الصادق لا يقبل ذلك ولا يسكت عليه ، بل لا يمنعه ما هو فيه من هم وحزن ان يغتنم اجتماعهم للصلاة ليقول لهم : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا تخسفان لموت احد ولا لحياته ، فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله بالصلاة .. » .

وطأطأت راسي اجلالا امام الانسان العظيم ، الذي بلغت عظمته الذروة والنهاية .. امام النبوة الصادقة التي تأنف ان تتردى الى الدجل والتلفيق ، وتظل في سموها وارتفاعها تحارب الاباطيل ، وتقف عند حدود ما يطمئن اليه المنطق السليم ..

كان ذلك كله يمر تباعا في ذاكرتي وانا استعرض قصة الاسراء والمعراج حين اظلتنا ذكراها . قصة الانسان المختار الذي ارتفع الى الملأ الاعلى « عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد راى من آيات ربه الكبرى .. » ..

راى ذلك وحدث الناس عنه ، فكانوا بين مصدق ومكذب وكان حريا بمن كذب منهم ان يذكر له مواقفه ، مواقفه تلك التي حدثتك عنها ، وما اكثر مثيلاتها في حياته . وهيهات ان يصدر عمن كان ذلك موقفه غير الحق ، وحاشاه ان يتحدث بغير الصدق ، حين يحدث الناس عن معجزة الاسراء والمعراج ..

معجزة السماء ..

هناك .. في (بيت لحم) ، على هضبة من هضاب الارض المقدسة ، اهل وجه المسيح الطفل ، فحمل الى الدنيا المليئة بظلام الجحود بشرى السلام والمحبة ، واهل معه ضياء من الايمان ، اشرقت منه نفوس ، واضاءت بصائر ..

وهناك .. في الغار الذي آواه ليلة ميلاده ، والمذود الذي تلقاه بعد ميلاده .. هناك مكان تتجه اليه القلوب ، ويؤمه الوافدون يطلبون البركة ، ويلتمسون العبرة في موضع القدسية .

ولكن ما سر هذا المولد العجيب .. وفي م يجيء الى دنيا الناس طفل من غير اب ؟.. نعم . ما سر ذلك ! اتراه بعيد المنال ، لا تصل اليه الابصار ، ولا تحيط به البصائر ؟.

انه لكذلك ..

انها معجزة السماء الى الارض ، وان الانسان قاصر بتفكيره الادمي عن ان يحيط بما في السماء من اسرار ، ولا عجب ، فمن اين للمخلوق ان يلم بأسرار صنع الخلاق ؟! ..

من اين له ذلك ؟!.

وانى له ان يصل اليه !..

عمان **محمد سليم رشدان**

ملهمتي

الى الشاعرة الفنانة « س » التي نفرت فجر شبابي بالشـذا والاريـج
(من ديوان شاطىء العمر الذي يصدر قريبا)

* * *

سربلت بالاحـزان فجـر شبابي   وملأت من حـان الاسى اكوابـي
ونثرت احلامـي وكانت جمـة   عبـر الظلام ففال كـل رغابـي
وتركت اصداء الخلود تنوشهـا   ريح الفنـاء ... ولذت بالمحراب
اقتات من زاد الهمـوم واحتمـي   كأس الدمـوع ، وعلقم الاوصاب
اهفو الـى النـاي الحزين منغما   واللحـن يأتي مـن وراء ضباب
وتثير احـزان الفروب مدامعـي   شجني الرهيب .. ورجفةالاعصاب
دنياي اشبـاح المغيب وعالمـي   شعري.. وهل في ألكون غيرربابي؟

اشدو فأبكي الطير في اعشاشها   واهز قلب الصب ... والمتصابي
واعيد للعشاق فجـر غرامهـم   واظل محروما ... من الاحبـاب
ويعيش قلبي في الفراغ فلم اجد   في قلبا يرود مجاهلي .. وخرابي
وبقيت كالحصن المنيع تحطمـت   دوني ــ على الايام ــ كـل حراب
وتعبت من سيري الطويل مجردا   من ملهم يحنو علـى اعصـابي
حتى رايتك في الحياة فأشرقـت   دنياي بعد تجهم ... وضبـاب
ونقلت اعراس الربيـع لعالمـي   يا للربيـع بسحره المنسـاب
واحلت صحرائي الجديبة جنـة   فيحاء ... قد كانت من الاعشاب
وعرفت فيك الدين والدنيا معـا   ووجدت فيك غذاء قلبي الصابي

* * *

عيناك كالبحر العميق رؤاهمـا   نور الوجود ... وروعة المحراب
شفتاك ــ يا دنياي ــ سحر هادىء   مثل العقيق ... وفتنة العنـاب
والوجه بدر راح يسبح في الرؤى   ثم انثنـى خجلا وراء نقـاب
يا نور ايامـي وقدس ملاعبـي   فيك الضلال .. وفيك انت صوابي
انا ما عشقت جمال وجهـك انما   احببت روحا شع ملء اهـابي
قدست فيك الشعر فنا خالصـا   قد هز اوتاري وفجـر ما بـي
وقرات كل قصيدة قد صفتهـا   وصحبت روحك بين كـل كتاب
وتخذت صورتك الحبيبة قبلتـي   ارنو اليهـا بعـد كـل ايـاب
لو كنت يا دنياي لي وحدي لما   ذقت الفراغ ... وذقت كأس عذاب
لكـن تفرقنـا عوائـق جمـة   لا من لداتك ... لست من اترابي
حسبي القصيد.. وحسب انك ملهمي   يا روح احلامي وفجر شبـابي

القاهـرة   **عبد العزيز الدسوقي**

لندع الليل يأتي

بقلم الانسة رينه عبودي

فتاة تغالب النعاس في غرفة فندق . سرير حديدي ، صوان خشبي تجاري ، منضدة قديمة ، مقعد واخيرا نافذة بقضبان حديدية تشرف على اسطحة بناية مجاورة .

الفتاة تغالب النعاس خوفا من الهرة ، هرة سوداء كانت تسير على الاسطحة المجاورة وترمق الفتاة في الغرفة .

اصداء موسيقا بعيدة كئيبة تأتي من الشاطىء . المصباح في سقف الغرفة ينير جدرانا بيضاء عارية .

* * *

غير بعيد عن الفندق حانة يكثر فيها الدخان . امرأة في الاربعين ترتدي ثوبا اخضر فاقع تصيح وهي تمد ذراعيها : اقترب ، اقترب مني اكثر .. المطر لا ينقطع عن الهطول .

الجمهور لا ينظر اليها ، ثمة كهل اصلع يطرب للاغنية ويستعيد ابياتا منها .

* * *

وغير بعيد عن الفندق ، كهف من الكهوف التي يحفل بها شاطىء المدينة ، كان يجلس فيه رجل في الثلاثين يرمق الحائط . امراة شابة تقترب منه ، يهز راسه نفيا . تبتعد هزيلة ، شاحبة متعبة ، الى غيره . كان يدخن ، شاربه رفيع اسود ، شعره كذلك اسود، حاجباه وعيناه. لمس ذراعها العاري كتفه ، فلم يابه ، فتلاشت في الدخان والضجيج . دخلت للتو فتاة ممشوقة القد ، تحولت العيون تمعن فيها النظر . لم تكن شاحبة ، بل في مقتبل العمر، كانت ترتدي غلالة بيضاء . كان عليها ان ترقص للجمهور ولم تكن تحسن الرقص كانت تدور في الحلقة مع زميلات لها ، ببرود الصنم . الرجل ذو الشارب الرفيع كان ينظر اليها طويلا .

وغير بعيد عن الفندق ، مقهى صغير لاحتساء الجعة . صاحب المقهى رجل في الستين له كرش ضخم . كان يرفع المقاعد من على الرصيف ويعيدها الى الداخل . زوجته تغسل الكؤوس في المطبخ . انه يصفر نشيدا .

امام هذا المقهى ، باب مربع ليلي . يقف قرب الباب فتى اشقر الشعر مورد الوجه معتدل القامة ، يرتدي ثوبا ابيض ، كان هذا الفتى ينتظر شيئا ما .

من على طرفي الطريق سيارات تنتظر اصحابها .

وهناك في الزاوية فتح للتو باب وشدت يد تحمل اسوارا كتف رجل سكران كان يمر .

اغلق صاحب المقهى مكانه ولحق بزوجته في المطبخ وجفف يساعدها الصحون . كان الرجل مهيب الطلعة وسمات الصحة تبدو على وجهه . اما زوجته فقد كانت امراة متزنة الى حد ما .

وبقي الفتى ينتظر . كانه عروس في ليل زفافها .

* * *

الحر لا يطاق لتغلق النافذة . ولا يمكنها ان تنام والهرة السوداء تسير ذهابا وايابا بخطواتها المخملية . اوراق مراجعة فحصها ترقد فوق السرير . غدا موعد فحصها . واليوم اول يوم لها في المدينة . موسيقا كئيبة تتوافد اليها . الهرة. انها تنظر بيأس .

وفي اليوم التالي حين قرع عليها الباب كانت ماتزال على حافة السرير وقد اخذتها سنة من نوم وهي جالسة .

قال لها الخادم ـ مخابرة لك من بلدة بعيدة .

وسمعت صوت امها ـ كيف انت ؟ ازعجك السفر ؟ كيف قضيت ليلتك ؟

اجابت : ـ ليلة هادئة . نمت جيدا .

قالت الام ـ هل استعديت للفحص ؟

قالت ـ لا يكن لك اي انشغال بهذا الامر .

قالت الام ـ ساخابرك غدا .

قالت ـ الى الغد اذن .

قالت الام ـ الى الغد .

* * *

انها تسير في الغرفة ذهابا وايابا . هذه الغرفة واسعة . اوسع من تلك الغرفة . ثم ان ليس لها نافذة تشرف على اسطحة مجاورة. طلبت من صاحب الفندق ان يبدل لها غرفتها باخرى فلم يتوان . يجب ان تنام طويلا ، ان تعوض عن ليلة امس . نافذة هذه الغرفة تطل على الشارع ويمكنها ان ترى منها الشاطىء البعيد وانوار القوارب . قوارب الصيد . ارتدت قميص نومها بسرور ودلفت الى الفراش وشردت باصبعها على مفتاح النور ، وفجأة تذكرت ، اعادت النور الى الغرفة . كيف لم تنتبه الى هذا الباب الزجاجي المطلي بلون الحائط. ان هذا الباب مقفول . اجل . ولكن هذا الباب الى اين يؤدي ؟ الى سلم بناية اخرى . الباب الخشبي هذا يؤدي الى حجرة الاستقبال في الفندق اما هذا الباب فالى اين ؟ لعل احدهم لديه مفتاح هذا الباب ، هل تنام ؟ هذا غير معقول ابدا !

وفجأة دوى صوت وتلته اصوات من الطابق الاعلى . من عله يحدث هذه الاصوات كلها . كأنها تسمع صوت استغاثة ، امراة تستغيث .

لا ، أنها تتخيل . كم هي الساعة الان ؟ الثانية بعد منتصف الليل . كان عليها ان تنام مبكرة ، حين كان الفندق يحفل بحياة كل يوم ، حياته الرتيبة ، جلست تطالع بدل ان تنام وها هي هذه الاصوات وها ان الساعة تشرف على الثانية .. انها تشعر ببرودة غريبة ، تلتف حول نفسها . لا يجب ان تترك النور هكذا في الغرفة ، الباب زجاجي ولو انه مطلي بالدهان ، ومن يعلم ؟ الافضل ترك الاشياء وكان كل شيء طبيعي ومن الطبيعي ان تكون في مثل هذا الوقت نائمة .

شدت على المفتاح وابقته قريبا من يدها تحت الوسادة . ان الاصوات تعلو من حين لاخر . وقع اقدام مسرعة . شيء يرتطم . ان خديها حارتان ، اما يداها فباردتان . وهكذا اقدامها . اخفت راسها تحت الشراشف انها تريد انتفكر بالجامعة الصارمة التي دخلتها اليوم ، بالاساتذة ، بالطلاب ، بالطالبات ، بالتمثال البرونزي فيباحة الجامعة.

قال لها احدهم — يبدو انك ليست من هذا البلد ؟

اجابت بحياء — كلا

قال لها — لقد ظهر لي ذلك سريعا .

ثم اضاف — اذا احتجت لاي شيء هنا فأنا في الخدمة . اني على بصيرة من امر هذه الجامعة ولو اني رسبت ثلاث مرات .

انها تبتسم لنفسها وراسها تحت الشراشف وفجأة انبت نفسها على التفكير بأمور تافهة بينما هي تجتاز خطرا الان هنا في هذه الغرفة ولهولها سمعت صفيرا طويلا كأنه نداء ، ثم صفيرا آخر ثم بين كل لحظة واخرى . ما هذا الصفير ؟ ارتعشت . افكارها تدور سريعا . شفتاها تتحركان بصلاة . والصفير يختفي ثم يعود من جديد . كانت تريد ان تنهض من السرير الى النافذة لتنظر ولكن شيئا ما كان يقنعها ان تظل حيث هي . واخيرا سمعت صوت سيارة تقف وصوت ضحكات متتابعة ، فقفزت من فراشها هذه المرة وقد شجعتها هذه الضحكات وركضت الى النافذة .

قرب الرصيف حيث وقفت السيارة كان شاب يعانق فتاة على خدها وشاب اخر يودع صديقته .

وغير بعيد كان جماعة من عمال البلدية يمسكون بمكانس وممسحة ويصفرون لبعضهم البعض ليجتمعوا .

كان الفجر قد بدأ يشق دربه الى السماء والشاطىء البعيد يكتسب زرقة .

عادت متمهلة الى السرير ولم تكد تضع راسها على الوسادة حتى نامت .

وفي اليوم التالي لم تتردد عن ان تقول لامها .

— اجل قضيت ليلة هادئة ، نمت نوما طويلا ولكن اعتقد بان الافضل لو بحثت منذ اليوم عن غرفة استأجرها لدى عائلة ، عائلة محترمة .

وحين اعادت السماعة الى مكانها من الالة قالت تسخر من نفسها : لم تتحرري بعد يا فتاتي .

حلب ريته عبودي

غفران

حسبنا ليالينا تطول وتمتد وإذ بثوانيها كأيامنا تعدو
رفيق الصبا عشنا حياة هنيئة اذا ما ذكرناها يحرقنا الوجد
يقولون : خلد الناس في المال والغنى واقسم : ايام الشباب هي الخلد
وكنا نرجي الدهر يجمع شملنا فلما التقى جن من يأسه البعد
الا قاتل الله الزمان فكلما بنينا قصورا جد في محوها الهد
فلا بقيت نعمى نفيأ ظلها ولا دام من انسامها ذلك الرند
اخي .. وبلاد الله تفصل بيننا اما آن للاحباب من غربة عود ؟
نعيش على الذكرى ونقتات حلمنا فيا ليت من نهواه في ليلنا يبدو

* * *

وقائلة ... واللؤم ياكل صدرها وقد نفخ الاوداج من حقدها الحقد
كفاك .. أاما تنسى عهودا قطعتها وقد كثر الواشون وارتحلت « هند » ؟
فقلت : ذريني اجرع الشجو والاسى فان شفيع المغرمين هو العهد
نموت ونحيا .. والاسى يبعث الاسى وليس لبلوانا زمان ولا بعد
واخشى مقال العاذلين : لقد سلا وينعتني العشاق أني مرتد
وكنت اذا ما اهتز غصن بروضة يؤرقني ذكر المليحة والقد
وان نظرت عيناي رمان ايكة تخيلت ذاك الصدر جملة النهد

* * *

أحبابنا .. انا نهيم بذكركم ويحيي امانينا الصبابة والود
فان تقتلونا نحن اسرى غرامكم واما غفرتم زاد في الطاعة « العبد »
وكنا لكم حصنا يذود عن الحمى وزندا لرد الكيد ان اعوز الزند
وكانت عيوني في هواكم سواهرا فلم تغفل الحراس او ترقد الجند
وزهدي في الناس اني احبكم وانكم الملجأ وانكم القصد
وما لسواكم ان يحل محلكم وما قبلكم قبل ولا بعدكم بعد
وانتم لنا روح وراح وسلوة وانتم لنا المال المجمع والرفد
ونصفح عنكم ان فتكتم بقلبنا وليس لنا الا التودد والحمد

حمص عبدو مسوح



توفيق الحكيم

توفيق الحكيم بين الفكرة والحياة

بقلم ابراهيم عيسوي سعفان

* * *

رسالة الادب خدمة المجتمع والارتقاء به الى الصورة المثلى التي ينشدها افراده ، وتزداد اهميته في المجتمعات المتطورة حديثا فانها في مسيس الحاجة الى الادباء من اجل المساهمة الفعالة في بناء المجتمع وتثبيت اركانه ونشر مفاهيمه الجديدة بين افراده ، فأصبح الان دور الكتاب مهما ومسؤوليتهم خطيرة ويتمثل ذلك في قول توفيق الحكيم « ان مهمة الكاتب في نظري هي تربية الراي ، وكل كاتب لا يثير في الناس رأيا او فكـرا او مغزى يدفعهم الى التطور او النهوض او السمو على انفسهم ولا يحرك فيهم غير المشاعر السطحية العابثة ولا يقر فيهم غير الاطمئنان الرخيص ، ولايوصي اليهم الا بالاحساس المبتذل ولا يمنحهم غير الراحة الفارغة ولا يغمرهم الا في التسلية والملذات السخيفة التي لا تكون فيهم شخصية ولا تثقف فيهم ذهنا ولا تربي فيهم رأيا — لهو كاتب يقضي على نمو الشعب وتطور المجتمع » . ويستطرد الحكيم مؤكدا رسالة الكاتب « ان واجب الكاتب يحتم عليه ان يحدث اثرا سامي الهدف في الناس وخير اثر يمكن ان يحدثه عمله في الناس هو ان يجعلهم يفكرون تفكيرا حرا ، ان يدفعهم الى تكوين رأي مستقـل وحكم ذاتـي » .

لم تعد مهمة الكاتب اذن المتعة الفنيـة فقط دون ان يضمن عمله اية فكرة ، ولكن اصبح الكاتب يهتم بالعمـل الجميل المتقن والفكرة التي يريد ان يوصلها الى الجمهور ، سواء كانت فكرة اجتماعية او اخلاقية او سياسيـة او فلسفية ، اي لم يصبح اخراج العمل الادبي في صـورة جميلة هو الاساس دون الاهتمام بالافكار .. وهـل اهتمام الكاتب بفكرة معينة يشغله عن اتقان عمله ؟ بالطبع لا ، فدعوة الكاتب لاية فكرة اجتماعية او اخلاقية .. الخ لا تشغله عن اتقان عمله واخراجه في صورة فنية جميلة متقنة . فالكاتب اليوم يحس بمسؤوليته وبالواجب الملقى على عاتقه ، ولم يعد مستساغا ان ينفصل الكاتب انفصالا تاما عن احداث مجتمعه ومشاعر افراده ، لم يعد مقبولا منه ان يقف مكتوف اليدين ، بل عليه ان يسخر قلمـه لخدمة اهداف الجماعة وتحقيق مثلها « فمنذ اقـدم العصور وحين كان الفن مرتبطا كل الارتباط بخدمـة المجتمع والدين ، سادت النظرة الاجتماعية ، اذ لم يكن هدف الفنان متجها الى التاثير في شعور الفرد وانمـا كان هدفه الاول التاثير في الجماعة لتحقيق اهدافهـا وتاكيد مثلها العليـا » .

فالمجتمعات اليوم في تطور سريع وتغير مستمر طبقا لناموس الوجود ، وعلى الفنان ان يساير مجتمعه فـي تطوره . فما الفنان الا جزء من المجتمع ، ولقد عبـر الحكيم عن ذلك في اكثر من موضع في كتبه ففي كتابه فن الادب يقول : « كل ما نرجو ونامل الا يغرق الفكر يوما في ثورة الامواج فيختفي من الوجود ويذهب نفعه للناس .. يجب ان يبقى الفكر دائما وان يكون خادما للجماعات في حاضرها ، حافظا للقيم العليا اللازمة لتطورها الواعية لمستقبلهـا » .

والحديث عن الافكار التي يتناولها الفن ، الافكـار الاجتماعية والخلقية والسياسية والفلسفية يدفعنا الى سؤال : هل هناك علاقة بين الفن والفلسفة ؟ في الواقع ، هناك علاقة بينهما وهو ان كلاهما يبحث عن الحقيقـة ، والحقيقة التي يبحث عنها الفن « هي الحقيقة العلمية او الفلسفية مفسرة تفسيرا يسهل على الناس استيعابهـا وفهمها وذلك بفضل ما ينطوي عليه الفن من صور والوان واشكال ، هي لغة الفنان ووسيلته في التعبير ، أي ان الفنان هو الكأس التي يذاب فيها المسائل الفلسفية حتى يمكن فهمها وتقريبها من العقول ، وهذا ما لجأ اليه كثير من الفلاسفة مثل افلاطون قديما وجان بول سارتر فـي العصر الحديث ، وعندنا توفيق الحكيم يتناول القضايـا الفكرية في انتاجه الادبي في قالب مسرحي ولقد اشارت الدكتورة اميرة حلمي في كتابها فلسفة الجمال الـى ذلك قائلـة :

« وبذلك يكون الفن وسيلة للفنانين لتوضيح فلسفتهم **الخاصة ونظرياتهم العلمية** فمنهم من يخدم بفنه فلسفـة

يقتنع بها او نظرية علمية يحاول أن يوضحها خلال انتاجه، ولكن ليس معنى ذلك ان يكون الفنان مجرد ناقل ؟ ولكنه يخلق الفكرة خلقا جيدا يضفي عليها من ذاتيته واحساسه وبذلك تخرج لنا الفكرة جديدة ، وكلما كانت رؤية الفنان للواقع اوضح وتعبيره عن اصداها في نفسه اصدق كلما زادت قيمة العمل الفني » .

ولذلك كان الصدق الفني ضرورة هامة في العمل الادبي ، فالفن الرفيع هو الذي يثير فينا احساسا رفيعا بالقيم الاخلاقية والجمالية ، ولكن هل معنى ذلك ان يكون الفن اخلاقيا فقط اي يصور الحسن دون القبح ، هناك اناس يرون انه يجب ان يكون اخلاقيا واناس اخرون يرون ان الفن واجبه في تصوير الحسن والقبح ، واتفق في هذا مع توفيق الحكيم ولقد افصح عن ذلك بقوله « واني لاشد الناس تمسكا بحرية الفن ، وادراكا لقدسية هذه الحرية ، ولا اتصور فنا لا يصور الرذيلة كما يصور الفضيلة ، ولا يبرز القبيح كما يبرز الحسن » . وهنا يطالعنا اول مبدأ يؤمن به توفيق الحكيم وطبقه في انتاجه الاول : ان الحكيم يشعر شعورا يقلقه بمهمة الفن وبرسالته تجاه مجتمعه ويبدو هذا الاحساس في مقدمته لكتابه « المسرح المنوع » : « نحن اذن جيل مطالب يحمل مسؤولية كاملة ازاء الادب المسرحي ، لم تلتفت اليها الاجيال السابقة على مدى قرونه » ، وهذا سر قلقه وشعوره بحاجة مجتمعه الى نوع معين من الادب ، فأخذ ينتج بفيض حتى يسد تلك الفجوة ويكمل ذلك النقص فهو يعبر عن ذلك بقوله في المقدمة السابقة « انا احاول في قلق جنوني ان اسارع الى ملء بعض الفجوة على قدر امكاني وجهدي ، وان اقوم في ثلاثين سنة برحلة قطعها الادب المسرحي في اللغات الاخرى في نحو الفي سنة » .

من هذا يتضح لنا الفنان الذي يؤمن برسالته ايمانا عميقا ، فانه يظل قلقا حتى يحقق الكمال لمجتمعه . وليس بعجيب على اديب مثل توفيق الحكيم ان نراه يميل الى القضايا الفكرية . فهذا ميل غريزي في نفسه منذ تفتح عقله وعرف طريق القراءة فقد قرأ وهو في سن الثامنة عشر كتبا لهربرت سبنسر ولامارك . فهو يشير الى ذلك في كتابه « فن الادب، بعد حديثه عن شهرزاد وفكرة التطور » نستخلص من هذا ان هناك قدرا يدفع الشخص الى قراءة ما سوف يلزم له في عمله اذ ان طبيعة الشخص هي التي تميل به الى هذا اللون او ذاك من الوان الغذاء الفكري ...؟ ليس من السهل الجواب وان كنت اعتقد ان البذرة الاولى التي القيت في نفسي منذ الحداثة وقد فعلت فعلها في الخفاء ، واذا الحنين الى ذلك النوع من الكتب يعاودني من حين الى حين — بل لقد بلغ بي الامر حدا قد يدهش البعض ، فانا اجد اليوم عسرا في قراءة القصص، واجد اللذة في مطالعة كتاب علمي » . ثم يستطرد قائلا : « بقي اولئك الذين أعنيهم واحب ان اقرا لهم وهم في الغالب من طراز العلماء المطعمين بالفلسفة » من هذا يتضح نوع الثقافة التي يميل اليها توفيق الحكيم والتي كان لها اكبر الاثر في انتاجه الادبي ... اذن الحكيم مفكر يحب الفكر فامتزج الفكر بطبيعته الفنانة .. فأخرج لنا عملا ادبيا فكريا في قالب مسرحي ، ولعل هذا النوع من الفن الذي يعتمد على الحوار يتفق وطبيعته الهادئة الميالة الى الايجاز ، ونلمس ذلك في حديثه عن الميل الطبيعي للحوار واتفاقه مع طبيعة الانسان في كتابه فن الادب : الحوار اذن كالشعر : استعداد طبيعي يميل اليه اولئك الذين يميلون الى الاقتضاب ذلك ان الد اعداء الحوار الاطالة والحشو » . كما ان قراءة الفلسفة كان لها الاثر في كتاباته المسرحية الا اننا لا نغفل استعداده الفطري وميله الطبيعي كفنان الى هذا اللون من الادب ، فهو قليل الكلام يميل الى الاختصار والتركيز . ولقد وصفه الاستاذ يحيى حقي في « خطوات في النقد » في مقاله : « توفيق الحكيم بين الخشية والرجاء» « يذكرني هذا المقال بالسنة النهائية لي في مدرسة الحقوق . عام مضى بأكمله ، وليس بيني وبين الحكيم الا اقل من نصف متر ، ومع ذلك لا اذكر انني كلمته او حييته ، شاب نحيل نحيف ، اصفر الوجه ، بارز العينين صموت ... » ولقد كان لقراءة الكتب الادبية العربية القديمة الاثر أيضا فلقد تشربت نفسه بما اتسمت به هذه الكتب من ايجاز ويتمثل هذا في قوله « للمسرحية عندي اعتبار خاص ، ذلك ان الحوار بما فيه من ايجاز وتركيز هو القالب الادبي القريب الى سليقتي المحبة للنظام ، فالفن عندي نظام والنظام عندي هو الاقتصاد ، اي بيان بلا زيادة ولا نقصان .. ربما كانت هذه الطبيعة عندي ميراثا قديما ، من اثر رواسب شخصيتنا العتيقة ، فالعرب كانوا يرون ، البلاغة في الايجاز » هكذا يتبين لنا استعداد الحكيم الفطري للادب المسرحي واحساسه كفنان يشعر بواجبه شعورا يقلقه ، وهذا الشعور يدفعه الى الاخلاص في فنه والاخلاص لمجتمعه فهو يؤمن بان الادب خادم للمجتمع « ان مهمة الكاتب ليست في مجرد اقناع القارىء بل في التفكير معه ، ما ارخص الادب لو انه كان وسيلة للهو .. لا ان الادب طريق الى ايقاظ الراي .. لا اريد من الكتاب ان يريح قارئه ويلهيه ، انما اريد أن يطوي القارىء الكتاب فتبدأ متاعبه » فالحكيم هنا يبين واجب الكاتب في المجتمع ، اذ يجب ان يضمن الكاتب انتاجه شيئا مفيدا للقارىء من الناحية الخلقية او الذهنية ، المهم ان يقدم عملا مهما لا ان يقدم عملا اجوف تافها لا فائدة منه ، يجب ان يقدم عملا يعيش مع القارىء بعد ان ينتهي من قراءته، ويثير في نفسه انفعالات شتى. وهذا يبين لنا اتجاه الحكيم في الفن فهو يؤمن بان الفن للمجتمع والقول بأنه

يميل الى الفن للفن قول أرى أنه غير صحيح طبقاً لما اوردناه من اقواله — وهنا نقطة ظلت عالقة بذهن الجمهور اريد ان ابينها وهي : ان توفيق الحكيم من ادباء البرج العاجي الذين لا يكتبون عن مشاكل الشعب ، فهذا القول خاطىء والسبب في هذه التسمية انه كان ينشر في « مجلة الرسالة » كلمات قصيرة بعنوان ثابت « من البرج العاجي » وكان يضمنها افكارا وخواطر مختلفة وظن بعض الناس من هذا العنوان ان ادب توفيق الحكيم منعزل عن المجتمع وذلك لما تردد في الادب الفرنسي من اصطلاح الادب العاجي الذي يقصد به الفن للفن ، وهذا التفسير بالنسبة لتوفيق الحكيم خطأ لانه لم يكن يقصد في تلك الكلمات ان يؤيد فكرة الفن للفن انما كانت مجرد عنوان لخواطره وافكاره .

ولننظر ايضا الى دفاعه في حديثه عن المسرحية وموضوعها الذي يختاره الكاتب فيقول « لهذا يتعين على المؤلف المسرحي ان يتخير من الاشخاص من تعقدت حياتهم الى الحد الذي يستطيعون معه ان تكون قلوبهم موضعا لانفعالات مختلفة ونفوسهم مظهرة لطبائع متباينة، وعقولهم قادرة على التعبير والافصاح ... ولقد كان مؤلفو المسرح في القديم يتخيرون اشخاصهم من بين الملوك والامراء ، وعلية القوم ، يوم كانت الثقافة وما يتبعها — من تعقد الحياة والمشاعر والفكر — محصورة فيهم ، فلما انتشر التعليم والتثقيف في العصور الحديثة وشمل اهل الطبقات المتوسطة في الحضر تعقدت تبعا لذلك وتنوعت حياتهم وعواطفهم وعقولهم — اتجه المؤلف المسرحي الى الطبقة الوسطى ينتقي من بينها اشخاصه » ثم يتحدث في موضع اخر عن هذه المشكلة المحيرة التي قاسى منها كثيرا ، وتظهر واضحة في حديثه عن ميزة الفنان امام بعض المشكلات التي تواجهها « تلك هي مشكلة النظريات الاجتماعية والمبادىء السياسية التي تتصادم اليوم وتتشاجر في عالمنا الحاضر ، فاذا اراد ان يقيم مسرحه في محيط الملوك والتاريخ والفكر كما فعل شكسبير الانجليزي — فان التقدميين يقولون له هذه الرجعية ... اين الشعب ... اكتب عن الفلاح والعامل والجوع والفقر ... وتبسط في لفتك وتواضع في تفكيرك ليفهمك الدهماء ... لان الفن هو لهؤلاء ... فاذا اتجه هذا الاتجاه انبرى له اخرون من المثقفين يقولون : هذا عمل لا وزن له في عالم الادب والفكر انما هو اسفاف يراد به التقرب الى العامة .. اكتب للخاصة فما الفن الا لهؤلاء » . والحكيم في حيرته هذه كأنه يدافع عن نفسه ازاء ما اشيع عنه من ادباء البرج العاجي الذين يترفعون عن تناول مشاكل المجتمع . ولكني ارى ان الفنان الاصيل عليه ان يتناول كل ما يدركه باحساسه من مشاكل مجتمعة سواء كانت هذه المشاكل مشاكل طبقة خاصة او مشاكل الشعب او قضايا فكرية او سياسية — والحكيم فنان مفكر ، ولعل الطابع الذهني الذي اتسمت به أعماله كلها مما ابعد المسافة بينه وبين جمهور القراء . وذلك لان المستوى الثقافي لم يكن قد ارتفع بعد . ويأتي بعد ذلك اللغة التي يكتب بها، هل يكتب بالعامية ام بالفصحى ؟.

وهذه القضية عالجها الحكيم بحكمة الفنان الذي يحس بمسئوليته الفنية فتراه يكتب مسرحياته الفكرية باللغة العربية دون اغراب في اللغة ويكتب بعض مسرحياته الاخرى باللغة العامية دون اسفاف . والحقيقة ان توفيق الحكيم يثير بذلك قضية ما زالت تناقش حتى الان . وهي ، ما هي اللغة التي يجب ان يكتب بها الاديب ... لكل فن اداته وأداة الادب اللغة ، والفن عمل جميل ولا يكتمل جمال العمل الفني الا بالفكرة واللغة والمحافظة على بنائه سواء كان قصة او قصيدة او مسرحية .. فلا يصح ان نقدم طعاما جميلا في آنية قذرة — ستعافه النفس بلا شك — والفكرة حسب العمل الفني ، واللغة ثوبه ، فهل يجب ان يكون الثوب باليا ؟ قطعا .. لا . وانا ارى انهؤلاء الذين يحبذون الكتابة باللغة العامية انما يبحثون لهم عن مخرج يستطيعون منه التسلل الى الادب ويحشرون انفسهم في زمرة الادباء ويسمون ما يقدمونه ادبا لانه يرضى بالبسطاء السذج من الناس — وليست الكتابة بالعامية سهلة كما يتصور هؤلاء الذين ينادون الى الكتابة بها — ولكنها تحتاج الى قدرة وبراعة في اختيار الالفاظ العامية السليمة الفنية وهذه القدرة لا تتوفر الا لعدد قليل من ادبائنا المتمكنين المالكين لاعنة اللغة بالنسبة للكتابة الفصيحة ، والمتمتعين بحاسة فنية قوية بالنسبة للفنين الفصيحة والثابتة ، والحكيم يحس بهذه المشكلة احساسا شديدا ولقد بذل كل جهده للتوفيق بين اللغة العربية واللغة العامية في مسرحية « الصفقة » ... واذا نظرنا في اعمال الحكيم نجد انه قد كتب بعض مسرحياته باللغة العربية والبعض الاخر باللغة العامية مثل بعض مسرحيات جمعها في كتابه (المسرح المنوع) ، وبذلك نحس ان الحكيم يحاول جاهدا في كل انتاجه ان يبحث عن الكمال في عمله الفني . ولقد اشار الاستاذ احمد مصطفى في كتابه توفيق الحكيم الى هذه النقطة «والحكيم لا يهتم كثيرا بالزخرف اللفظي وهو ينتقل بين اللغة العامية في بعض مسرحياته وقصصه حين يعرض للحوار الذي يصور بعض طوائف المجتمع تصويرا طبيعيا ، وبين اللغة الفصحى الراقية حين يود ابراز الافكار العليا في عرضه للقضايا التي تتصل بالانسان ومصيره او باتجاهات ذهنية فلسفية . فهو من هذه الناحية في طليعة الثوار من مفكري العصر على قيود اللفظ وصناعة الادب .

فالادب عنده لا يلتزم الا بالكمال الفني ومراعاة مقتضى الحال » .

وقضية اخرى تناولها الحكيم ،هل يجب ان يهبط الفنان بفنه الى الشعب ام يبقى في القمة ويتركهم يصعدون اليه

؟ .. والحكيم يرى ان الفنان يجب ان ينزل الى الشعب ويعرض فنه عليهم ويعبر عن ذلك بعد ان يقارن بين الدين والادب في كتابه فن الادب ، « لا جدال اذن في ان الفنان لايستطيع ان يبقى في القمة ، حبيس فنه ،منتظرا ان يصعد اليه الجماهير في جبله الوعر ، يحملون المصابيح في ايديهم ويتصبب العرق من ابدانهم وهم يصيحون .. اين انت ايها الفنان المعلق في السحب ؟ جئنا نبحث عنك فلقد ادركنا بالفراسة، اوبالحدس والتخمين ، انك في ذلك المكان فهل عندك رسالة تبلغنا اياها . . . . لايمكن بالطبع ان يقع ذلك ولكن المعقول ان ينزل ذلك الفنان حاملا رسالته تحت ابطه ليلتمس الناس . . » وقوله هذا يبين احساسه برسالةالفنان ويبين انهمدرك تماما لمايجب ان يكون عليه الفنانمن مشاركة فى احداث مجتمعه وتجاوب مع افراده ولكن طابعه الفكرى الذي يغلبعليه جعله يميلالى الوحدة والهدوء ويتضحذلك في كتابه تحت شمس الفكر وهو يتحدث عن كيفية تمييز الحيوان للجمال«حصان بينمهرتين احداهما جميلة شهباء والاخرى قبيحة هزيلة عرجاء اى ايتهما يميل ؟ ما ترددت يومئذ ان اقول في ثقة واقتناع الى الجميلة يميل ، ماوجه الترجيح ؟ لست ادري ، وحبذا التجربة فهي الحكم الفصل » . لكني يومئذ كنت افكر تفكيرا صرفا في ابراج عاجية اعتمدت ان آوي اليها للتفكير الهادىء .

ولذلك كان الحكيم بعيدا عن الجماهير عندما ظهربكتاباته الذهنية التي تتطلب مستوى راقيا من التفكير لا يفهمه الا القليل . . . ولكن اليوم بعد التقدم الثقافي والفكري الملموس اصبح الحكيم قريبا من العقول ، وبذلك ندرك أن الحكيم لم يضع نفسه في برج عاجي ترفعا منه ولكنه كرجل مفكر فانه يحب الوحدة والهدوء حتى يتمكن من التأمل والتفكير . والحكيم لايؤمن بحدود للثقافة بل يؤمن بان الثقافة ملك للانسانية وليست وقفا على امة معينة ونلمس هذا في اتجاه فهو يميل الى الافكار الانسانية اي لايميل الى الاقليمية ، وهذا صحيح ، فالادب هو اللغة التي يتفاهم بها جميع البشر واللحن الذي يجمع النفوس الشاردة ويتمثل هذا في قوله :

« فالثقافة ليست بضاعة مادية لامة من الامم وانما ثقافة كل امة ملك البشرية كلها لانها خلاصة تفكيرالبشرية جمعاء . . . ثقافة كلامة ليست سوى عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مر الاجيال فليكن همنا جنى العسل دون النظر الى جماعات النحل » ، وهذا ما نحتاجه الان في هذه الفترة التي نعيشها من اجل بناء حضارتنا فنحن في حاجة الى الاخذ من كل حضارة دون النظر الى الجنس . والحكيم يحدد في السطور الاتية ما يجب ان نأخذه من حضارة الغربيين فيقول : « نأخذ ما في رؤوسهم وندع ما في انفسهم ، احساسنا ملكنا واحساسهم ملكهم فالشعور طابع اصلي لاينقل ولا يستعار ولكن المعرفة ملك مشاع ، ومتاع يتداوله الجميع » .

ولكن لا يلبث الحكيم ان يؤكد هذا المعنى في كثير من كتاباته ففي كتابه«تحت شمس الفكر» يقول «لذلك احب ان اقول لادباء العربية الحديثة . لاتخشوا مطلقا من الباس افكاركم الاثواب الاوربية على شرط ان يكون طابع هذه الافكار وروحها شرقيا محضا . وان يحس القارىء الاوربي ازاء اعمالكم انه امام نفس غير نفسه وشخصية غير شخصيته وان كانالرداء ليس غريبا لان الرداء ليس ملكا لاحد : انهملك الحضارة والحضارة وليدة الحضارات التي سبقتها » .

ويقول في موضع اخر « ان الفكر البشري ليس له حدود دولية انما هنالك المزاج الخاص والطبيعة الخاصة التي تكيف تلك الثروة المباحة التي تنهل منها كل ثقافة وكل حضارة » .

وايمانه بقضية الانسانية مما دعا الغربيين الى الاهتمام بمؤلفاته . ولقد قال الاستاذ احمد مصطفى : « مما دعا الغربيين ولا شك الىتذوق بعض مؤلفات الحكيم والتعقيب عليها انه قد تناول فيها قضية العصر . وقضية الانسانية الخالدة في قيمتها العليا وفقا لمبادئه ومعتقداته . وهو في نظرته اليها يقف على الجانب الاخر بالنسبة للفيلسوف الاوربي المعاصر جان بول سارتر زعيم المذهب الوجودي » .

والحكيم مع ايمانه العميق بوحدة الثقافة فهو يدعو الى حضارة شرقية متميزة الروح ويشير الى ذلك الاستاذ احمد عبد الرحيم مصطفى في كتابه « توفيق الحكيم » : « والحكيم فيدعوته لهذا الاتجاه نجده يساهم فيه ويدلي بدلوه فهو موسوعي التكوين الثقافي ، فلا يقف في مطلق المعرفة عند حد زماني او مكاني — له نظرته في كل لون من الوانها سواء اكانت شرقية أم غربية ، قديمة ام محدثة . ومن فن وادب ودين ، الى علوم طبيعية ومباحث ميتافيزيقية . لقداخذ عن الحضارة الغربية عصارة تراثها كله ، وطرائفها كلها لا ليحفظها مفروزة بل ليتمثلها ويهضمها ويعود فيضيفها على الادب الشرقي دما جديدا . يرينا الجاحظ وابا العلاء في نظرة جديدة ويخرج أشعب في ثوب فني حديث من الادب الشعبي الراقي . ويستلهم الف ليلة وليلة والقرآن والانجيل والمزامير فيخرج منها الوانا مختلفة ، شرقية الفلسفة والروح ، يلبسها جميعا ثوبا جديدا من فكرة انسانية جديدة في اطار القوالب والاساليب الفنية الحديثة » .

والحكيم شرقي يحب شرقيته ولا يلبث ان يتحدث عنها كثيرا ويدافع عنها ويفتح كنوزها ويبين مميزاتها التي تمتاز بها عن سائر البلاد وهي الروح ، تلك الروح التي يمتاز بها الشرق عن الغرب المادي ، تلك الروح التي بحث عنها محسن في « عصفور من الشرق » وفي « عودة الروح » ولقد ردد كثيرا في كتابه « تحت شمس الفكر » في حديثه عن الادب ، والفن والثقافة « مصر هي الروح ، هي السكون ، هي الاستقرار » وهو يأمل دائما ان تمتزج

الروح بالمادة ، ويخشى تغلب المادة كما هي مسيطرة في الغرب . ولقد اشار الى ذلك في حديثه عن الانقياد للنظريات العلمية في كتابه « تحت شمس الفكر » : « الى هذا الحد يصل الانقياد الى النظريات ؟ من أجل هذا لا أريد التمكين للعلم حتى يجلس على عرش النقد دون شريك ، احب طرائق العلم . لكني اخشى نتائج العلم . فلنرتفع بالروح قليلا . لست اريد ان اضع الروح تحت مبضع العلم ، رهبة مني ان يشقها فيجدها غلافا اجوف .. »

ثم يستطرد قائلا « اني كرجل من رجال الروح لا اريد ان اقول ان عقل العلم لا يكفي . ولا بد دون ادراك الجمال والروح من العودة الى القلب » .

فهكذا نرى ان رسالة الادب لديه لا تهدف الى نصرة الروح على المادة او نصرة المادة على الروح ولكن يجب المزج بينهما » .

ان توفيق الحكيم يمثل مرحلة من مراحل انطلاقتنا الفكري وتطورنا الحضاري بما ادخله على الادب العربي من فنون جديدة ولقد اشار الى ذلك الاستاذ احمد عبد الرحيم مصطفى في كتابه المذكور انفا » واما توفيق الحكيم — صاحب هذه الترجمة — فهو مجدد الاسلوب الفني في الادب الحديث ، ادخل عليه فن الحوار الذي استقر على يديه استقرارا دائما في ادبنا المعاصر . كما اقر في الفن والادب قوالب اخرى مثل اليوميات (يوميات نائب في الارياف) والاعترافات والرسائل « زهرة العمر » و « الرباط المقدس » ، والقصة الطويلة « عودة الروح » — وكلها الوان لم يعرفها الادب العربي من قبل على هذا الوضع الفني الذي عرضه » .

والحكيم يحاول جاهدا نقل التيارات الادبية السائدة في اوروبا الينا حتى لا نتأخر عن ركب الحضارة المتقدم وحتى نستطيع ان نسير جنبا الى جنب مع اوروبا فكريا ، ولا يسعنا الا ان نشير الى مسرحيته الجديدة « يا طالع الشجرة » وما تلاها بعد ذلك من مسرحيات نشرت في الصحف « رحلة القطار » و « رحلة صيد » وهي مسرحيات امتداد لمذهب « ياطالع الشجرة » وهو مذهب اللامعقول الذي حمله الينا « مسرح الجيب » فكانت هذه المسرحيات تأكيدا لما ردده الحكيم من انه يحاول ان يسد النقص الموجود عندنا في ادب المسرحية حتى نستطيع ان نلحق الغرب . والحق ان الحكيم عبقرية فذة ، فعقله عقل مفكر وروحه روح فنان ، وفي اعماقه شيطان الفن لا يغفل ولا يهدأ وسيظل يخرج لنا كل يوم جديدا حتى يحقق لمجتمعه الكمال وما يبغيه له من تقدم ورقي .

القاهرة — **ابراهيم عيسوي سعفان**

شقيـــه

لقيتها في ذات امسيه
واجمة تشدو باغنيه !
وومض اعجاب تراءيته
في لمح عينيها بعينيه
قلت فتاتي لا عراك الضنا
كما عرا كل امانيه
رقيقة انت وللحزن في
صوتك احساسات حوريه
شقية انت فهل لي انا ؟
انا الشقي ؟ اعطيك ما فيه ؟
انى بذرت الحب هل تلقطي ؟
من حب حبي بذر كفيه ؟
حقيقة انت ولكنني
قبضة اوهام سرابيه
اني خيالي ، انا شاعر
اعيش اياما خياليه
وكل حياتي منتهى مأملي
اسطورة تمضي خرافيه
حصادي الشعر وللشعر في
قلبي جراح كاللظى حيه
لا تساليني انت احببتني ؟
بل سائلي قلبي وعينيه !

جدة — **حسن عبد الله القرشي**

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي
من العروة الوثقى في لندن

***

لا يسعني في هذا المقال ايضا الا ان اشير مرة ثانية او ثالثة الى الاساس الذي تقوم عليه المدنية الغربية ، وهو ، كما قلت ، على شقين : التراث الاغريقي الروماني والتراث المسيحي . ولكل من هذين التراثين مميزات خاصة تفرق الواحد منهما عن الاخر . فقد اخذ الغرب عن الاغريق كثيرا من الاراء السياسية والاجتماعية ، ومن جملة ذلك القيم المطلقة في الحرية والديمقراطية وتحري الحقيقة وحب العدالة . ولكنه اخذ عن الاغريق ايضا حب الاستطلاع العلمي والتعطش للتجديد وتعليل الحوادث والاحوال تعليلا منطقيا ، بحيث يندفع الانسان الغربي في اتجاه يأخذه بعيدا عن نفسه وينتقل به الى ما يخرجه عن وجوده او كيانه الشخصي الحقيقي ، فيحصل بين ما يفعله في ابحاثه العلمية وتأملاته الفكرية وبين نفسه هوة او فجوة هي اساس ما نسميه بالتجافي . واخذ الغرب عن التراث المسيحي العقيدة الدينية والمبادىء السامية مثل المساواة والشفقة على البائسين والتواضع . وأهم شيء في هذا التراث هو اخضاع المادة الى الروح ، واتباع الطبيعة بما وراء الطبيعة .

وهذا امر يتنافى مع الشق الاول من المدنية الغربية وهو روح التراث الاغريقي ، لان هذه الروح ترفض الخضوع لانظمة ثابتة لا تتغير ، ولانها دوما تحب التحرر من القيود باستخدام العقل وتريد التفلت من الروابط والخروج على التقاليد . ومن هنا كان التوتر بين هذين العنصرين في كيان المدنية الغربية . ولكن ذلك لم يصل الى درجة شديدة . وبقي المجتمع في الغرب وحدة واحدة مدة تزيد على الف سنة . الى ان جاءت عصور النهضة ، وظهر فيها تأثير التراث الاغريقي ، فتحرر الفرد من سلطة الدين بل وسلطة الجماعة ، واخذ المجتمع ينبض بحياة جديدة ، وعادت اليه الروح الاغريقية وهي روح البحث والاستقصاء ، وتبين ان المدنية لا يمكن ان تبقى راكدة على حالها مدة طويلة بدون ان تنتعش من جديد وتدب فيها حياة التطور والابداع . واصبح المجتمع الجديد مجتمعا علمانيا بالتدريج ، ولم يعد بالنتيجة مجتمعا دينيا صرفا كما كان في القرون الوسطى . وفي القرن السادس عشر جاء الاصلاح الديني ، وحقق بذلك مرة اخرى احد اهداف النفسية الاغريقية .

وتلا ذلك قرنان من الزمان ، كان الرائد فيهما هو العقل . واستعمل العقل في التخلص من كل سيطرة ، وفي استقصاء اسرار الطبيعة والكون بصورة عامة . وقد تكلمت شيئا كثيرا في السابق عن القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ولا سيما في فرنسا ، ولعل الفرصة تسنح لي للكلام عنهما بالتفصيل ، وخصوصا فيما يتعلق بمبادىء الثورة الفرنسية .

ويجدر بي هنا ان اعرج على نقطة تاريخية مهمة اشار اليها الاستاذ « سارطن » في كتاب له اسمه (تاريخ العلم والحركة الانسانية الجديدة) فالعرب نقلوا عن لاغريق علومهم ودرسوها وفهموها ، ثم نقلوها في دورهم الى العالم الغربي ، فكانوا بذلك وبما ابتدعوه من علوم جديدة الباعث الاكبر على ظهور النهضة في اوروبا . وكان المؤرخون يقولون ان ظهور النهضة في اوروبا كان بسبب فرار العلماء اليها من القسطنطينية بعد سقوطها بيد الاتراك ، فأقلعوا عن هذا الراي واخذوا براي اخر وهو ان اوروبا تعلمت من القسطنطينية ولكن ما تعلمته من العرب كان اكثر بكثير . فاذا كان العرب قد نقلوا العلوم الاغريقية ، فهل كانت مدنيتهم مزيجا من التراث الاغريقي ومن الديانة الاسلامية ، كما كان الحال مع العالم الغربي ؟ واذا كان الامر كذلك ، فهل ظهر في تاريخ المدنية العربية ذلك التوتر الذيظهر في اوروبا بين التراث الدنيوي والتراث الديني ؟ يقول « سارطن » أن اهمية الاسلام الجسيمة انه وفق بينه وبين التراث الاغريقي وجمع الطرفين معا في مجرى واحد ، بعد ان كان المجرى الدنيوي الاغريقي والمجرى الديني في واديين منفصلين . وهذه هي المرة الاولى في تاريخ العالم التي يصبح فيها الدين السامي والعلم الاغريقي ممتزجين في عقول الناس باتفاق وانسجام . هذا ما يقوله سارطن ، ومعناه ان العرب في هذا الميدان وفي غيره قد جمعوا بين العناصر المتنافرة ووفقوا بينها حتى اصبحت متلائمة واندمج بعضها في بعض . وهذه عبقرية تكاد تكون مقصورة على العرب وخدهم في التاريخ . وكثير من المؤرخين قد فاتهم ان يلاحظوا هذه المزية عند الفاتحين العرب ، فكانوا كثيرا ما ينكرون على العرب انهم اوجدوا مدنية علمية عربية او انهم اوجدوا نظاما جديدا للدولة او اوجدوا طرازا من البناء والمعمار خاصا بهم وهكذا . ونسوا ان العرب جعلوا كل شيء عربيا ، وان كان في الاصل غريبا اجنبيا ، واستمالوا الاقوام المختلفة الى قبول ديانتهم ولغتهم ، واشترك معهم رجال هؤلاء الاقوام من فرس وهنود وسريان واقباط وبربر واغريق في بناء مدنية واحدة . وليس ادل على ذلك من امرين تاريخيين . الاول ان لغة اليهود ، ولا سيما العلماء منهم ، كانت اللغة العربية حتى القرن الثاني عشر . ومن ذلك مثلا ان كتاب

(دلالة الحائرين) للفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون ، وهو اعظم كتاب يهودي فلسفي في القرون الوسطى ، كان مكتوبا في الاصل باللغة العربية . بل ان كتب الصرف والنحو للغة العبرانية كانت مكتوبة باللغة العربية لا باللغة العبرانية . والامر الثاني ان اللغة العربية في اسبانيا ايام حكم العرب كانت لغة الناس عموما ، حتى ان احد سكان قرطبة من المسيحيين في اوائل القرن التاسع شكا من أن الذين يعرفون اللغة اللاتينية في مدينته لا يزيدون على واحد من الف ، لان الاكثرية الغالبة من السكان كانوا يتكلمون العربية ويتقنونها ، بل ان كثيرين منهم كانوا ينظمون الاشعار فيها . وكان المفكرون والمثقفون من الاسبان في ذلك الوقت لا يعرفون الا اللغة العربية والادب العربي ولا يقتنون من الكتب الا الكتب العربية . وفي هذا العهد رأى احد اساقفة اشبيلية ان من النافع بل من الضروري ان تترجم التوراة والكتب المقدسة الى اللغة العربية ليس من اجل المسلمين بل من اجل افراد الطائفة المسيحية .

فالعرب في تاريخهم لم يخبروا في عهدهم ما خبره الاوروبيون من توتر بين شقي المدنية الغربية . ثم ان المدنية الغربية فوق ذلك لها طابع سيطر عليها من اولها الى اخرها ، وهو طابع اغريقي اصيل ، واعني بذلك القدرة على تجريد المعاني والصور الذهنية من الاشياء المحسوسة والحوادث الواقعية، بطريقة التجريد الفلسفي. واعظم من خطا هذه الخطوة ووضع الحجر الاكبر في بناء التجريد الفلسفي هو سقراط ، حينما اكتشف بنفسه ان الاسم الذي يدل على مسمى انما هو صورة ذهنية منتزعة من المسمى المحسوس الحقيقي ومن رؤيته او التعرف به حسا ، ومن هنا اتسعت الفكرة حتى انتقلت الى النظرية الافلاطونية في الصور المثالية ومنها الى اساس الفلسفة في مجموعها تقريبا ، وهو التفريق بين الكون الكائن وبين الكون الظاهر . فهذه المقدرة العقلية في توليد الصور الذهنية المجردة كانت دائما تضع المفكر في حالة يكون فيها مجافيا لنفسه (Self-alienated) ومجافيا لوضعه الحقيقي فكان بذلك يبتعد عن نفسيته الحقيقية ، ويبقى مبتعدا مدة طويلة الى ان يزول التوتر فيرجع المفكر عن حالته المتجافية . وعلى هذا كان القلق وعدم الاستقرار بين المفكرين والفهماء في اوروبا الصفة الغالبة عليهم . فالمفكرون حاربوا السيطرة من دينية وزمنية حتى تحرروا منها . ونالوا للفرد حرية مطلقة تقريبا ، ونالوا ذلك كله باستعمال العقل . وبعد هذه العصور من التنور وتحكيم العقل انقلب المفكرون على العقل واخذوا يستريبون في صحة حكمه ، وخصوصا بعد الذي كتبه « كانت » الفيلسوف الالماني وبعد الذي اكتشفه العالم النفساني فرويد ، وبعد انتشار مذهب الوجودية . ثم ان الحرية التامة التي احرزها الانسان في صراعه طول تلك العصور اصبحت في الوقت الحاضر عبئا ثقيلا يشعر بوطأته المفكر الغربي في اوروبا وشمال امريكا عامة ، ولا يدري ماذا يعمل به ، واصبح الان يسعى الى ربط الفرد بالجماعة ربطا وثيقا يزيد من قوة الجماعة وسيطرتها عليه. وكذلك الدين ، فان الانسان ، في عصوره الطويلة ، نزع عنه سيطرة الدين شيئا فشيئا حتى اصبح لا يكاد يدين بشيء مهم . غير ان تجافي الانسان عن ماضيه ، وتحلله من القيود الاجتماعية والدينية ، وانسلاخه شيئا فشيئا عن تراثه وتقاليده ، جعلته مضطربا لا يقر قراره ، فالتجأ الى الدين مرة ثانية ليكون الدين سندا له ومرساة في هذا البحر الهائج او التجأ الى ذاته وانقطع الى نفسه دون غيره ، كما فعل الوجوديون امثال سارتر او كما فعل الشخصيون (Personalists)

هذه حالة الرجل الغربي في الوقت الحاضر كما يصورها لنا المفكرون والكتاب . واسرع الناس الى التأثر بعامل التجافي في الغرب هم المفكرون والفهماء . وسنرى كيف كان تأثير هذا العامل فيهم في الغرب وفي الشرق ، بل وفي العالم اجمع . ولكن في الغرب اليوم حيرة وفي الشرق العربي حيرة مشابهة . فحيرة الغرب هي بين الاقبال على العلم الطبيعي وترك الدين جانبا وبين التمسك بالدين او بما يتبقى منه والتعايش سلميا مع هذا العلم . اما حيرة الشرق العربي فهي بين الاقبال على المدنية الغربية مع ثقافتها وترك التراث العربي جانبا وبين التمسك بهذا التراث او بما يتبقى منه والتعايش سلميا مع تلك المدنية .

لندن

حسن الكرمي

الصباح

بقلم مكسيم جوركي

ترجمها عن الروسية

رضوان ابراهيم

اجمل شيء في الوجود ان تشهد ميلاد يوم جديد !

حينما يومض اول شعاع من اشعة الشمس .

ويتولى ظلام الليل في هدوء الى مضايق الجبال وثنايا الصخور ، وخلال الاوراق الكثيفة ، ووشي الاعشاب ، واشجار اللبان المتناثرة.

وتضيء شعاف الجبال ببسمة ودودة ، تقول لظلال الليل الرقيقة :

ـ لا تفزعي .. فهذه هي الشمس !

وتثور امواج البحار ، وتعلو قممها البيضاء ، ثم تنحني ، كوصيفات البلاط ، يحيين ملكتهن ، وينشدن لها :

ـ التحيات لك يا مليكة العالم !

وتضحك الشمس الطيبة لهذه الامواج التي ظلت طول الليل تطوف .. وتطوف ، وترتع ، وتلعب، وهي الان مشعثة الرؤوس ، في حللها الخضراء الجعدة ، وكتلها المخملية تثور وتضطرب .

وتقول الشمس الخيرة ، وهي تعلو ، وتعلو فوق البحر :

ـ طاب نهارك !

طاب نهارك ايتها الامواج الفاتنة !

والان .. كفي واهدئي !

ان الاطفال لا يستطيعون ان يستحموا اذا لم تكفي عن قفزك العالي

يجب ان تكوني على علاقة طيبة بكل من على الارض !

اليس هذا حقا ؟

ومن ثنايا الاحجار تنطلق السحالي الخضراء ..

ويناجي بعضها بعضا بلمحات العيون :

ـ يبدو ان يومنا سيكون حارا !

ففي الايام الحارة يطير الذباب في تكاسل وتراخ .

فتخف السحالي لاصطياده وابتلاعه ،

وهكذا تاكل الذباب الجميل .

ان التهام الذباب الجميل شيء ممتع جدا ..

للسحالى الشرهة اليائسة .

ان ولادة الندى تهز الاشجار مداعبة .

فتهيج تماما ، وهي تتحدى الانسان قائلة :

« سجل يا سيدي .

كم نحن جميلات ..

في مطلع الصباح ..

في كؤوس الندى .

سجل بالكلمات الصغيرة صور الازهار .

جرب .. فهذا شيء يسير ، ونحن بسيطات المظهر ! »

يا لها من ماكرة !

انها تعرف جيدا ..

ان من المستحيل على اي انسان ان يصور بالكلمات جمالها الرقيق!

انها لتسخر مني !

فأخلع قبعتي ، وانحني اجلالا لها ، وانا اهتف :

ـ كم انت لطيفة ! لطيفة جدا !

وكم انا شاكر لك هذا الشرف .

لكن .. لا وقت لدي اليوم ..

اما غدا .. فسأحاول .

وتبسم في زهو .. وتنجذب نحو الشمس .

كي تضرم اشعتها قطرات الندى المتساقطة على الورود والاوراق متالقة كقطع الماس .

وفوقها يحوم النحل بلونه الذهبي .

يحوم لامتصاص الرحيق الحلو بشراهة .

وفي الهواء الدافىء تتجاوب اغانيه الجماعية الجميلة :

« الحياة .. كم هي جميلة .

بفضل الشمس المجيدة

ينبوع الحياة !

بفضل العمل الشريف ..

من اجل تجميل وجه الارض »

وتستيقظ الحساسين ذوات الصدور الحمر .

وتقف متأرجحة على سيقانها الدقيقة .

وتغني كذلك اغانيها الهادئة بسرور

ان الطيور تعرف اكثر من لانسان

ان من الخير لها ان تعيش على الارض !

والحساسين دائما هي اول من يستقبل الشمس .

وفي روسيا النائية الباردة يسمونها « تباشير الصباح »

لان الريش على صدور هذه الطيورمصبوغ بالوان اشعة الصباح.

وعلى النباتات تثب رؤوس القطط المرحة الرمادية الصفراء ..

المشبهة لاطفال الشوارع الخبثاء

الذين يتصايحون بلا كلل .

وتمرق طيور السنونو في اثر البعوض .

في اح البصر تنقض في مطاردة البعوض .

كذلك الخطاطيف ذات البيقان الحالكة السواد ..

انها تزقزق في سعادة وسرور ..

واجمل ما فيها اجنحتها الخفيفة السريعة .

وتتراقص اغصان الصنوبر ، الذي تشبه اشجاره كؤوسا مترعة باشعة الشمس ،

كأنها خمر ذهبية .

ثم يستيقظ الناس ..

ميسون

ابنةالشاعر دخلت في الظهيرةوالدنيا لا تسع فرحتها وبيدها شهادة نجاحها الدراسية فاثارت مشاعر ابيها وكانت هذه القصيـــدة :

●

ميســون يا بـوح الشـذا النشوان يا حلم الخميلـة
يا همسة الشط الجميـل يليـح بالنجوى نخيلـــه
يا دغدغـات البدر للامـواج ... يا دنيـا الطفولـة
يا بنت خمس لم تجـاوز غيـر اشهرهـا القليلـة
اقبلـت نحـوي والشهـادة بين انملـك النحيلـة
وتفتـح النوار ثغـرك ... ضـوع انسـام عليلـه
ـ «بابا .. ستعطيني عروسا .. مثل احلامي جميلة !»
ـميسون ..؟ بل قلبي خذي .. ماقديجود .. ومستحيله
ان شئت .. صفت لك اللآلىء .. من اناشيد الفضيلة
او شئـت .. جمعت الازاهـر من بساتيني الظليلـه
فتبسمت ... في تيهها اللاهي .. بأسنـان صقيلـة
وتمشت الكلمات تعثر بالطفولة فـي ســـهولـــه !
« بابا انا عربيـة ... مـن ذروة المجـد الاسيلـه
ارضعتنا لبن العروبة .... فهـي في دمنـا اصيلـه
وندرتنا مع اخوتي لحمـى ... لكي نحمي سهولـه
علمتنا ان لا نرى ... فـي ارضنـا وطنا بديلـه ! »
ـ « يا بنت ابطال حموا ... لعمان رايات البطولـه
مخروا البحار عـلى شراع ... ذللـوا فيها سبيلـه
بنتـاه يا قبـل النـدى للزهـر راعشـة بليلـه
يا اختفاطم (۱) في الزهور واختفاطم (۲) فيالرجوله
عشت لذا الوطن الكبير .. وكنت فيوطني «جميلة»(۳)

الشارقة **صقر بن سلطان القاسمي**

(۱) اخت ميسون . (۲) اشـارة الى ملحمة الشاعر (فاطمـــة) .
(۳) جميلة الجزائرية .

ومن اجل هؤلاء كل الحيـاة ..
وكل العمل .
يستيقظ هؤلاء الذين يزينون كل شيء في الحياة .
ويغنون ، ويثرون الارض .
ولكنهم .. منذ الميلاد الى الوفاة يظلون فقراء .
لماذا ؟
انك لتتساءل عن هذا السر فيما بعـد ..

حينما تكبر ، وحينما تريد طبعـا ان تتساءل ..
ولكنك الان قادر على ان تحـب الشمس منبع كل سرور وكل قوة .
فكن مرحا خيرا ـ شأنك شـأن الشمس الخيرة ـ من اجل الجميع .
لقد نهض النـاس ، وها هـم يسيرون الى حقولهم .
ويتوجهون الى اعمالهم ..
والشمس تطل عليهم ، وتبتسم .

انها تعرف اكثر من كل المخلوقات :
كم يعمـل الناس الطيبون فـي الارض .
فقديما كانت لا ترى الا الصحارى
اما الان .. فالارض كلها مليئة
بعظائم الاعمال التي قام بها الناس ،
قام بها اباؤنا ، واجدادنا ، واجداد اجدادنا .
صنعوا وسط المخاطر والمجاهـل كل شيء من اجل اطفالهم ..
كل ادوات اللعب ، وكل وسائـل الجمال على وجه الارض .
وكانت « السينما » مـن بين الاشياء الخالدة .
حقا ! لقد عمل اسلافنا باتقان .
ومن اجل هذا غرسوا في نفوسنا الحب العظيم للعمل واحترامه ..
بما خلفوا لنا من صناعاتهم التي تملأ الحياة من حولنا ..
ومع ذلك لا يكف الاطفال عـن التفكير في اسطورة : ماذا عمـل الانسان في الارض ؟.. انها اشوق اسطورة في العالم !
وعلى اسـوار الحقول تتألـق الورود ..
وفي كل مكان تتضاحك الازهار ..
ان الكثير منها قد يــذبل ..
ولكنها جميعا تظل تنظر لـى السماء .. الى الشمس الذهبية .
وحفيف اوراقها المخملية ينشر عطرها اللذيذ .
والهواء الازرق الدافيء المليء بالعطر الهادىء يحمل هذه الاغنية الودودة :
ان ما هو جميل يظل جميلا ،
حتى حينما يذبل .
ان ما نحبه نظل نحبه
حتى حينما يموت !!
ويمضي يوم .. !!
يمضي قائلا :
طابت ايامكم ايها الاطفال ..
لتكن حياتكم كلها اياما سعيدة !

القاهرة **رضوان ابراهيم**

بين الشعر العربي القديم والشعر الحر

بقلم عبد المعين الملوحي

* * *

في كتاب السيدة « نازك الملائكة » قضايا الشعر الحر ، وفي الفصل الثاني منه تعالج السيدة الشاعرة ما سمته الجذور الاجتماعية لحركة الشعر الحر ، ورأت الشاعرة ان العوامل الاجتماعية الموجبةالتي جعلت الشعر الحر ينبثق كثيرة وانها ستحصي منها في بحثها هذا اربعة ، هي :

١ ــ النزوع الى الواقع ٢ ــ الحنين الى الاستقلال
٣ ــ النفور من النموذج ٤ ــ ايثار المضمون

وقد كان من الممكن ان تشرح السيدة الشاعرة هذه العوامل شرحا ايجابيا دون ان تتعرض بالاذى للشعر العربي القديم ، ولكنها وبالاسف آثرت ان تسلك السبيل التي يسلكها اكثرنا من الضعاف من الناس الذين يريدون ان يبنوا مجدهم على هدم مجد الاخرين .

وكذلك صنعت نازك حين ارادت ان تمتدح الشعر الحر فحملت حملة قاسية على الشعر العربي التقليدي .

ولو أن السيدة التي تحب الشعر الحر ذكرت ايجابيا بواعث هذا الشعر لما وجدنا ضرورة لمعالجة هذه البواعث ، التي كان نصيب السلبية فيها اكثر من نصيب الايجابية .

قالت السيدة في معرض الحديث عن النزوع الى الواقع ما يأتي بالحرف الواحد :

« اما القيود التي تضيق آفاق الاوزان القديمة ، فهي تلوح للفرد المعاصر ترفا وتبديدا للطاقة الفكرية في شكليات لانفع لها ، في وقت ينزع فيه هذا الفرد الى البناء والانشاء والى اعمال الذهن في موضوعات العصر ، انه يكره ان يضيع جهوده في اقامة هياكل شعرية معقدة ، لها من الرصانة والهيبة اكثر مما يطيق ، ولعل الرصانة الشديدة ان تكون منفرة للذهن العامل الذي يريد البناء ، وذلك لانها تقيد الحركة ، والشاعر يريد ان يتحرك ويندفع ، ان مشاكل العصر تناديه وهو لا يجد وقتا لترف القيود وبطر القافية الموحدة ، ثم ان فروض العمل والحياة المنتجة تتطلب ان يخلق لنفسه اسلوبا اكثر حرية واقل هيبة وجلالا ، وهو في هذا ، اشبه بانسان يشتغل فلاحا ويضايقه ان يلبس ثيابا انيقةمترفة لانه يحتاج الى لباس بسيط يعطيه الحرية على الحركة والقدرة على العمل ، ولذلك انطلق الشاعر الحديث وخلق اسلوب الشعر الحر ببساطة اسلوبه وخلوه من الرصانة .»

الا ما اسرع مانسيت نازك الملائكة قولها قبل احدى عشرة صفحة اي في الصفحة التاسعة والعشرين حين تقول ايضا بالحرف الواحد :

« الحقيقة ، اننا لو تأملنا قيود الاوزان الحرة لوجدناها لا تقل عن قيود اوزاننا القديمة ان لم تزد » بل ان نازك تقول في الصفحة (٣٨) اي قبل ثلاث صفحات فقط :

« ان الشاعرين نزار قباني وفدوى طوقان يكتبان قصائد بالاوزان القديمة وقصائد حرة فلا تقع اغلاط الوزن الا في قصائدهما الحرة . »

وهكذا لاتقل قيود اوزان الشعر الحر عن قيود الاوزان القديمة مرة ، ثم تكون قيود الاوزان القديمة وحدها هي التي تلوح للفرد المعاصر ترفا وتبديدا ، وهي التي تقيد الحركة مرة اخرى ، ثم يكون الشاعر الحديث لايجد وقتا لترف القيود وبطر القافية الموحدة مرة ثالثة .

الا ما اصدق المثل القديم حين قال : « حبك الشيء يعمي ويصم » يعمي عينيك عما ترى ، ويصم اذنيك عما تسمع .

ولا تلبث نازك ان تحمل على الشعر العربي القديم الواحد ايضا :

« ولعل هذا الاحساس بالترف والفراغ هو الذي يجعل الشعر القديم حافلا بالاجواء المثقلة بالعنبر ونسيم الصبا والثياب الحريرية تجرها فتيات ناعمات لاعمل لهن سوى الدلال ونوم الضحى ، ان الشاعر المعاصر ــ هو الفرد في مجتمع يعمل ويبني ــ يضيق بهذا الجو الكسول النعسان ، وهذه الجمالية المفروضة فرضا ، انه يريد ان يكون شعره مفكرا ، ايجابيا ، طويل العبارة ، فلا تسمح له بذلك الغنائية العالية في الابحر الشطرية ، وهو ينفر من هذه النبرة العاطفية الموسقة لانها لاتلائم نزوعه الى العمل والنشاط ، ومن ثم فهو يريد أن يحطمها ويخرج من قمقم الاحلام واوهام الف ليلة وليلة ، لقد وجد في الشعر الحر مهربا من هذا الجو المثقل بالجواري والحرير واشعة مصباح علاء الدين . »

وارحمتاه للشعر العربي القديم ما اشد ما يلقى من حملات يشنها عليه الغرب ، واشد منها حملات يشنها عليه انصاره من العرب .. ان السيدة نازك بشطحة قلم واحدة ايضا جردت الشعر العربي كله من رجولته وفحولته ، فجعلته مثقلا بالعنبر وبنسيم الصبا وثياب الحرير ، ونسيت نازك دفعة واحدة غبار المعارك عند عنترة في سبيل بارق ثغر عبلة ، وفحولة الفرزدق عندما تدلى من ثمانين ، وجيش بشار يزحف بالحصى وبالشوك ، وحماسة ابي تمام ، وبطولة المتنبي يبني الحدث والقنا تقرع القنا ، وموج المنايا حولها متلاطم ، ونسيت نازك دفعة واحدة ابا العلاء يأكل العدس وهو في محبسه ، ونسيت ابن الرومي يأوي الى الخان .. نسيت كل هذا وجعلته كله يعيش في قمقم الاحلام واوهام الف ليلة وليلة ، ثم هي واصحابها من الشعراء المحدثين يريدون

ان يخرجوا الشعر العربي من قمقم الاحلام ومن اوهام الف ليلة وليلة .

الا ما اقرب الشعر العربي القديم من الواقع ، وما اقرب الشعر الحديث الى الاحلام ، وان كان في الشعر العربي القديم احلام كثيرة ، وفي الشعر الحر واقع كبير.

اما العامل الثاني الذي تذكره نازك من العوامل الاربعة التي دفعت الى الشعر الحر ، فهو الحنين الى الاستقلال . قالت نازك :

يحب الشاعر الحديث ان يثبت فرديته باختطاط سبيل شعري معاصر ، يصب فيه شخصيته الحديثة التي تتميز عن شخصية الشاعر القديم .

ونحن نفهم هذا ونقره ، ان حرقة الاستقلال هذه كما قالت ، تساهم الى حد ما في دفع الشاعر الحديث الى البحث في اعماق نفسه عن مواهب كامنة .

ولسنا نجد اصدق من تشبيهها للشعر الحديث بما قالته عنه حين قالت : يعني هذا ان لحركة الشعر الحر جذورا نفسية تفرضها ، وكأن العصر كله اشبه بغلام في السادسة عشرة يرغب في ان يعامل معاملة الكبار فلا ينظر اليه وكانه طفل ابدا .

امرك يا سيدتي ، سنغض طرفنا عن صقل شعر المراهقين ، وعن قصر تاثير المراهقات ، ونقول لهم ، انتم لستم مراهقين ، انكم رجال مثل ماشيستي الجبار ، ونقول لهن انتن لستن مراهقات انكن نساء مثل السعالى — سعالى الشاعر القديم — لقد صدقت نازك في هذا ، وصدقناها .

ولكنا لا نصدقها حين تقول ان الشاعر الحديث يريد ان يكف عن ان يكون تابعا لامرىء القيس ، والمتنبي والمعري .. ان الشاعر العربي الحديث حين ينظم الشعر على الاوزان القديمة ليس تابعا لاحد ، ان حقه في هذه الاوزان كعربي مثل حق امرىء القيس والمتنبي والمعري سواء بسواء بل لعل امرا القيس نفسه لم يدع ملك هذه الاوزان حين قال :

عوجا على طلل الديار لعلنا — نبكي الديار كما بكى ابن حزام

وكذلك فعل زهير بن ابي سلمى حين قال :

ما ارانا نقول الا معارا — او معادا من قولنا مكرورا

ثم لم يكن النظم على أوزان الشعر القديم — وهي اوزان كثيرة — عبودية ، ولماذا يكون النظم على اوزان الشعر الحر — وهي تكاد تكون نموذجا واحدا عند نازك — حرية واستقلالا ؟

وتذكر نازك في العامل الثالث النفور من النموذج ، وتقول : « من طبيعة الفكر المعاصر عموما انه يجنح الى النفور مما اسميه النموذج في الفن والحياة ، واقصد بالنموذج اتخاذ شيء ما وحدة ثابتة وتكرارها بدلا من تغييرها وتنويعها .

وتتطرق نازك الى راي في الفن العربي مستمد من راي المستشرقين ، لا نستطيع نحن ولا تستطيع هي ان تقرره بعد ان مزقه البحاثون في الفن العربي الاسلامي ، وراوا في الفن العربي مجالا رائعا قد تنقصه بعض الاشياء التي يتميز بها الفن الغربي ، ولكنه كان تعبيرا صادقا عن حياتنا وفكرنا وعقيدتنا ، وتطبق ذلك على الشعر القديم فتقول :

كان الشطر او البيت يتخذ وحدة ويحافظ الشاعر على عزلة هذه الوحدة مراعيا المسافات المضبوطة بينها وبين سائر الوحدات التي يكررها الى نهاية القصيدة .

هذا ما تقوله الشاعرة ، ولست اجد في كل ما سمعت عن الشعر العربي اكثر تضليلا من هذا الكلام ، واشد ظلما للشعر العربي منه .

مثل هذا الكلام لا يقوله واحد قرا شيئا من الشعر العربي ، فكيف تقوله شاعرة عربية كبيرة اطلعت على الشعر العربي كله او اكثره ، وهي تخطط لمقاييس جديدة في هذا الشعر .

ليس صحيحا ما زعمته الشاعرة الكبيرة من ان نظام الشطرين في الشعر العربي يفرض شكلا مقيدا بنمط معين ذي طبيعة هندسية مضغوطة ولا ان القوالب تفرض شكلها على المادة التي تنضغط في داخلها ولا ان القصيدة الشطرية ذات الاطوال الثابتة والمسافات المتناسقة تجعل المادة التي يعالجها الشاعر هي الاخرى ذات مسافات متناسقة .

كل هذا غير صحيح . مثل هذا الكلام يقوله النظامون لا الشعراء ، ذلك ان من يقرا الشعر العربي والبحر الواحد من هذا الشعر يلاحظ دون كبير مشقة ان هذا البحر تختلف انفاسه واطواله ومسافاته باختلاف الشعراء اولا وباختلاف الموضوعات ثانيا ، ان لكل شاعر موسيقى خاصة داخل البحر الواحد ومن اجل ذلك كنا نعرف الشاعر من انفاسه في الشعر ان صح هذا التعبير قبل ان نعرفه من موضوعه او من روحه ، خذوا قصيدة المتنبي .

على قدر اهل العزم تاتي العزائم — وتاتي على قدر الكرام المكارم

ثم اقرؤوها بيتا بيتا ، الا ترون ان نفس المتنبي في هذه القصيدة يختلف عن نفس ابي تمام في قوله :

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر — فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

ويختلف النفسان عن نفس ابي العلاء في قوله :

غدوت مريض العقل والدين فالقني — لتسمع انباء الامور الصحائح

فكل هذه القصائد من البحر الطويل ومع ذلك فان لكل واحدة منها نفسا خاصا ، روحا خاصة ، تدفقا خاصا ، بل ان القصيدة الواحدة — قصيدة ابي الطيب مثلا — تختلف بمسابقاتها واطوالها من بيت الى بيت . والا فكيف نقرا هذه الابيات :

هل الحدث الحمراء تعرف لونها ... وتعلم : أي الساقين الغمائم
بناها فاعلى القنا تقرع القنا ... وموج المنايا حوله متلاطم
وقفت وما في الموت شك لواقف ... كانك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

اننا حين ننشد الشعر العربي — واقول ننشده — لا نشعر بالتفعيلات تفرض علينا نفسها ، ولكننا نشعر بالمعاني والعواطف وقد فرضت علينا نفسها وجعلتنا نلون صوتنا بتلاوينها،ونقسم وقفاتنا وانطلاقاتنا حسب تدفقهاوتوقفها وانطلاقها ، اننا ننشد الشعر — هذا هو التعبير الذي كان يفضله القدماء ، ولا نقرأ الشعر ، وخاصة لا نقرؤه لكي نعرف بحره الا اذا تعمدنا ذلك تعمدا ، اذا كنا نتعلم العروض ، او اذا كنا نعرض هذا الشعر على مقاييس الابحر لنعرف وزنه ، وليس البحث عن الوزن والبحر انشادا للشعر ، اننا لا نكاد نميز الشطر الواحد في كثير من الاحيان حين ننشد الشعر ذا الشطرين .

رحم الله اجدادنا لقد كانوا يسمعون اصوات الشعراء من قصائدهم حتى حين لا ينشدها هؤلاء الشعراء كانوا يميزون نبراتهم حين يقرؤون شعرهم حتى اذا دنوا غائبين عنهم .

« دخل رجل على داود بن يزيد بن حاتم ، وقال له قدمت على الامير بمدح يسمعه فيعلم به تقدمي على غيري ممن امتدحه فقال فلما افتتح القصيدة بقوله :

لا تدع بي الشوق اني غير معمود ... نهى النهى عن هوى الغيد الاماليد

استوى جالسا واطرق ، حتى اتى الرجل على اخر الشعر ، ثم رفع راسه اليه فقال هذا شعرك ؟ قال : نعم — اعز الله الامير — قال : في كم قلته يا فتى ؟ قال : في اربعة اشهر ابقاك الله. قال:لو قلته في ثمانية اشهر لكنت محسنا ، وقد اتهمتك لجود شعرك وخمول ذكرك ، فان كنت قائل الشعر وهبت لك مائة الف درهم والا حرمتك ، فقال : او الاقالة اعز الله الامير ؟ قال : قد اقلتك . قال : الشعر لمسلم بن الوليد وانا راويته ، والوافد عليك بشعره، فقال : انا ابن حاتم ، انك لما افتتحت شعره سمعت كلام مسلم يناديني فاجبت نداءه واستويت جالسا ، ثم قال يا غلام : اعطه عشرة الاف درهم ، واحمل الساعة الى مسلم مائة الف درهم » لقد عرف ابن حاتم شعر مسلم حينما سمعه من الراوية الذي ادعاه لنفسه واستوى جالسا كانه يجيب نداءه ، لان جرسه مألوف الى اذنه ، ومذاقه معروف في شعوره ، لا يمكن ان يختلط عليه بشعر سواه ، ولا ينجح اي شخص او اي انسان في ادعائه ان ادعاه . »

هكذا كانوا يميزون الشعر ، ولم يدع واحد منهم ولا يمكن ان يدعي واحد منهم ان الشعراء كلهم ينظمون بحورا واحدة فشعرهم كله ذو اطوال ثابتة ومسافات متناسقة ، وكيف يمكن لشاعرة عربية كبيرة ان تقول ذلك : ذلك ما لا اعرف له سببا .

حبذا لو عرضت الشاعرة الاسباب التي دعتها الى نظم الشعر الحر عرضا ايجابيا ، دون ان تهاجم الشعر العربي عن جهل او عن علم ، عن بساطة او عن غرض .

حبذا لو اكتفت بقولها حين قالت : قد يروق الشاعر الحديث ان تستوعب عبارة واحدة بيتين او ثلاثة، وقد يحب ان يقف في نصف لشطر ويبدأ عبارة جديدة تنتهي في نصف الشطر التالي ، ذلك امر نفهمه قليلا او كثيرا ، ولكنه لا يتهم الشعر العربي كله .

بل ان القافية نفسها في الشعر العربي الاصيل ليست امرا يتقيد به الشاعر ، « ان القوافي تنساب انسيابا وتنثال انثيالا » هذا هو التعبير الجميل الذي كان يستعمله القدامى عندما يتحدثون عن القوافي المثبتة، انك حين تقرأ الشاعر العربي قصيدته لا تكاد تشعر بان هذه القافية تفرض نفسها عليه ، او ان المعنى يتغير بتغير القافية ، وقديما ضحك القدماء طويلا على يحيى بن اكثم حين سمع قول الشاعر :

ولما نضت عنها القناع متيم ... تروح قلب العامري متيما
فان تصب قلب العامري فطالما ... صبا بالايامى قلب يحيى بن اكثما

فسأله : ويحك ما فعلت لك حتى ادخلتني في شعرك ؟ فقال له : متيم اقعدتك على طريق القافية . كنا عندما كنا صغارا ، نكتب القوافي على ورقة ثم نبدأ بنظم الشعر ، وكل قافية كانت تفرض علينا معناها ، وما اظن ان السيدة الملائكة كانت تقيس على شعرنا في طفولتنا شباب الشعر العربي بل ما اظنها تقيس على شعرنا حتى في شبابنا شباب الشعر العربي :

لقد كنا نعرف في كثير من الاحيان قافية البيت من صدر البيت وكيف يمكن الا نعرف القافية سلفا في هذين البيتين لابي فراس :

أساء فزادته الاساءة حظوة ... حبيب على ما كان منه حبيب
يعد على الواشيان ذنوبه ... ومن اين للوجه الجميل ذنوب ؟

وتهدأ اعصاب السيدة نازك قليلا في حديثها عن العامل الرابع ، وهو في رايها ايثار المضمون على الشكل ، وتحمل ها هنا على عصر الانحطاط ،ونحن معها في حملتها عليه وتقول :

« ولقد جاء عصرنا هذا على أثر العصر المظلم الذي غلبت فيه على الشعر العربي القوالب الشكلية والصناعة الفارغة والاشكال التي لا تعبر عن حاجة حيوية ، ووجد الشاعر الحديث نفسه خلفا لاجيال من الشعراء يكتبون الالغاز والمهمل والتشطيرات ولزوم ما لا يلزم وكل ما يدل على انهم لا يريدون ايصال مضمون لازم معين الى قرائهم، وانما همهم ان يخلقوا اشكالا مجردة ذات قيمة ظاهرية وحسب ، وقد كان رد الفعل المباشر ، عند الشاعر المعاصر،

ان يتجه الى العناية بالمضمون ويحاول التخلص من القشور الخارجية .

وعلى الرغم من ان الشعر المعاصر منذ مائة سنة او تزيد خمسين قد تخلص من تأثير شعر عصر الانحطاط، وان البارودي نفسه اتخذ من الشعر العباسي نماذجه ، فان هذه الرغبة في ايثار المضمون على الشكل موجودة لدى شعراء العصر الحديث ، وان كنت اعتقد ان حركة الشعر الحر حركة لفظية شكلية قبل ان تكون حركة مضمون وموضوع ، ولست اريد ان اشرح وجهة النظر هذه في هذا المجال ، وفي اخر الفصل الثاني هذا ، وكان نازك قد افرغت كل ما تؤمن به وما لاتؤمن به من حملات على الشعر القديم لا من حقد عليه فيما اظن ،ولكن من حب للشعر الحر، كما تحب المراة في العادة ابناءها وتجدهم احلى الاطفال، اقول في اخر الفصل الثاني تعود اليها ، على قلة ما تعود ، نفس الباحث المحقق ، لا صاحب الهوى الاعمى فتقول :

« وانه ليهمنا ان نشير الى ان حركة الشعر الحر ، بصورتها الحقة الصافية ، ليست دعوة لنبذ الابحر الشطرية نبذا تاما ، ولا هي تهدف الى ان تقضي على اوزان الخليل وتحل محلها ، وانما كان كل ما ترمي اليه ان تبدع اسلوبا جديدا توقفه الى جوار الاسلوب القديم وتستعين به على بعض موضوعات العصر المعقدة ، ولا اظنه يخفى على المتابعين ان بعض الموضوعات تنتفع بالاوزان القديمة اكثر مما تنتفع بالوزن الحر ، ولذلك لا نرى وجها نبرر به ميل بعض الناشئة الى ان يكتبوا شعرهم كله بالاوزان الحرة غير ان التطرف شيء مألوف في تاريخ الدعوات الادبية والاجتماعية ، ونحسب ان كل حركة تبدأ متطرفة اولا، ثم ترتد الى الاعتدال بعد ان تشذبها التجارب وتصقلها الحاجة ثم اننا على يقين من ان كثيرا من المغالين في استعمال الشعر الحر سيرتدون في السنين القادمة الى الاعتدال والاتزان ويعودون الى الاوزان الشطرية فيكتبون بها بعض شعرهم .

اما اليوم فنحن في شيء من القلق على الحركة ، تقلقنا هذه المغالاة التي تصاحبها ، وتلك الحدة والعصبية التي يكتب بها بعض انصارها المتحمسين الذين حسبوا ان محاربة ادابنا القديمة جزء من اهداف الشعر الحر ، وكان من الممكن ، على الاطلاق، ان نبدع نحن شيئا لم يساهم اجدادنا الموهوبون في تمهيد السبيل اليه منذ الف سنة ، والواقع ان حركة الشعر الحر لن ترسخ في تاريخنا حتى يدرك الشاعر الحديث ان تراثه القديم قد كان هو المنبع الذي ساقه الى ابداع الجديد ، ولعل انكار القديم والمغالاة في النفور منه مظهر من مظاهر ضعف بالنفس عند الامم ، وقد لا يكون غريبا ان يحس الفرد العربي ، في هذه الفترة من حياته ، بشيء من هذا ، ولكننا على ثقة من انه ، وهو سليل هذا التراث الخصيب ، لا يمكن ان يبقى في هذا المستوى طويلا ، ولا بد ان يسيطر على ابعاد نفسه كلها في المستقبل القريب ، واذ ذاك سيبدو له الشعر الحر نقطة صغيرة في تاريخه الكبير ، وسيدرك اول مرة ، ان اوزانه التي ابتكرها قد بلغت مرحلة النضج وباتت جزءا حيا من تاريخه الادبي العريق . »

تلك هي الدواعي التي ارادت نازك ان تضعها للشعر الحر ، وقد راينا انها دواع تعتمد ، ويا للاسف ، على التهجم على الشعر العربي القديم قبل ان تكون ايضاحا لوجهات نظر الشعر الحر الحديث ، ولكن الشاعرة تعود الى الانصاف ، وليتها لم تتركه ، اذن لكانت شاعرة كبيرة وباحثة متجردة في آن واحد .

دمشق

عبد المعين الملوحي

شوق

هزني الشوق فأجرى ادمعي
عبرة داريتها حتى اذا
لم يزدني البعد الا صبوة
أجفاء ، وصدود ، ونوى ؟

آه يا ظالم لو كنت معي !
ضمني الليل جرت في مضجعي
تتلظى حرقة في اضلعي
يا لقلب النازح المنقطع !

* * *

املأ الجام واترعه اسى
واسكب الالحان سكرى علها
خلته يرجع من بعد النوى
(ايها الساقي اليك المشتكى

لست ارضى غير جام مترع
ترجع الماضي ولو في مسمعي
فانقضى العمر ولما يرجع
قد دعوناك وان لم تسمع)

لندن

سعيد العيسى

من « العروة الوثقى »

القـوم يقـرأون ...

بقلم مبارك ابراهيم

* * *

« مذكرات فيلسوف رحالة » للكونت هرمان الكسندر كيزرلنج (المولود عام ١٨٨٠) ..

صاحب هذه المذكرات كاتب وفيلسوف اجتماعي عاش في باريس وانجلترا (١٩٠٣ ـ ١٩٠٥) وعاش في برلين (١٩٠٦ ـ ١٩٠٧) وعاش بعد ذلك في ارض يملكها في (استونيا) . ولما استصفت الثورة الروسية املاكه ذهب ليقيم في مدينة (دارمستاد) وهناك اسس مدرسة سماها (مدرسة الحكمة) وكان ذلك عام ١٩٢٠ . ثم اخذ يجوب الاقطار ويلقي محاضراته في كثير من البلاد. ومنها الولايات المتحدة الاميركية .

وصاحب هذه المذكرات عالم من العلماء النابهين . وهو يقول ان الذي حفزه على الارتحال والتطواف حول العالم هي الرغبة في ان يعرف نفسه ويحقق ذاته .. وهو اذا اشاد بمحاسن منظر عابر في بلد من بلاد الشرق الاقصى او في احدى الحدائق الفناء بولاية كاليفورنيا فانما تقوم تلك الاشادة على ما يقوم من صلة بين تلك المشاهد وبين مطامحه ورغباته .. وهو يشرع قلمه ليكتب فلسفة تقرأ وكانها احدى القصص التي تحدث الناس حديث الحياة الباطنية .

واستهدافا لهذا المثل الاعلى نراه يزور سيلان والهند والصين واليابان والولايات المتحدة ليقوم بدراسات للثقافات الروحية لاقوام تلك البلاد .. واول اثر سحري يجمع بين غرابة الشرق وجماله قد الم به وطاف بخاطره وهو في سيلان .. وهو يقول :

ان وفرة النشاط العارم الذي يتبدى في نمو الكائنات في المناطق الاستوائية نموا يفوق الحد قد جعلته يعرف سر شوق البوذي وتطلعه الى بلوغ مرتبة (الزقانا) او مرتبة النعيم القائم على رضا النفس . وذلك كمثابة امن يلوذ بها من ويلات الوجود . وقد قادته هذه الملاحظة الى دراسة البوذية دراسة جادة دقيقة ..

وهو في الهند قد تأثر بالمثل الهندية الكاملة . وبالقيمة العظمى لممارسة (اليوجية) وهي التي تقوم على تدريب الارادة بالتكرار الدائم لعملية التركيز في ابعد حدود الاستطاعة وذلك لبلوغ مرحلة التهذيب الذاتي .. وهو يقول : ـ ان الحالة العقلية في حد ذاتها ، لا بما تؤدي اليه هي ـ في نظر العقيدة الهندية ـ القياس الصادق للخلق .. ثم يمضي فيقول : ان المعرفة لا تؤدي الى النجاة فقط . ولكنها هي النجاة في اتم حالاتها ..

ان العقل الهندي يتسع لكل شكل من اشكال الحياة . ولكل لون من الوان الفكر . بوصفها اشكالا والوانا صالحة في مراحلها الخاصة من مراحل الوجود ..

وفي مدينة (كلكتا) تعرف بالجماعة المحيطة بالشاعر الكبير (تاجور) وكانوا كلهم من الفنانين والكتاب والموسيقيين .. وهو يصف المثل الاعلى للكمال عند الصينيين بأنه يمثل لونا من الثقافة الاخلاقية كما يمثل لونا من الايمان بالتوافق الاصيل القائم بين المبادىء الاخلاقية وبين العالم المادي . كما يمثل كذلك لونا من الخضوع الرصين للنظام الطبيعي للاشياء ، المنبعث من هذه العقيدة .. وهو يقول : ان المرء يستطيع ان يكون نقي السر نقاء تاما اذا كان نقي العلانية نقاء تاما ..

وهو يرى ان اليابانيين ليسوا مقلدين لغيرهم وانما هم قوم اذكياء يستكشفون العالم متخذين سبيل الملاءمة بينهم وبين العالم الخارجي بروح من الوطنية الصادقة . وهو ينظر الى المرأة اليابانية نظرته الى اكمل امراة في عصرنا هذا ..

ومع انه ينظر بعين الرضا الى فلسفة الشرق التي تقوم على التأمل والتدبر فانه يؤمن ايمانا عميقا بديناميكية الغرب . ويسلم بان العلم التجريبي قد عمل في سبيل تحرير الجماهير اكثر مما فعلت حكمة الحكماء . ولكنه يعود فيبدي اقتناعه بان على كل فرد ان يجد في سبيل بلوغ هدفه من حيث معرفته لنفسه وتحقيقه لذاته ..

* * *

« رسائل الى مؤلفين طواهم الردى » ، للشاعر العالم الاديب الايقوسي « اندرو لانج » ١٨٤٤ ـ ١٩١٢ ..

يكفي للثناء على هذا الكاتب انه شارك في ترجمة الاوديسية والالياذة . وانه اسس جمعية البحوث النفسية ..

وكتابه هذا يتضمن مقالات قصيرة تدور موضوعاتها حول النقد ، وقد وجهها في سخرية رقيقة الى « الاعزاء من النساء ومن الرجال الذين طواهم الردى وكانوا في حياتهم قد امتحنوا بمحنة التأليف .. وقد وجه رسالة من تلك الرسائل الى الاستاذ «ايزاك والتون » المتوفى عام ١٦٨٣ . وصاحب الطرفة البديعة « الصياد الكامل » وهو كتاب تدور موضوعاته حول الانهار واحواض السمك ، وحول الاسماك وصيدها . وكان هدفه من تأليف الكتاب الذي نشر لاول مرة عام ١٦٥٣ ان يعلم الناس فن صيد السمك الذي برع فيه بطول الخبرة والمرانة .. واتخذ في كتابه اسلوب الحوار . وادار الحديث فيه بين مجموعة من صيادي البر والبحر والسماء . وبين فتاة تحلب اللبن ، وبين اخرين .. وقد

اظفره هذا الكتاب بلقب (الأب للصيادين جميعا) . وقد تتلمذ عليه كل من كتب في هذه الموضوعات بعد زمانه ..

ويقول « اندرو لانج » في رسالته الى ايزاك والتون : ان من عادتي آذا لفني السكون بردائه وذهبت لصيد السمك ان احمل في حقيبتي كتابك اللطيف « الصياد الكامل » فهو يخطر ببالي اني اذا لم اظفر بسمكة اصيدها فاني اكون قد استمتعت بلذة قراءة هذا الكتاب البديع..

وفي رسالته الى (تاكرى) يقول : وانت اذا تكلمت جادا غير هازل فأي جمال ساحر في الكلمات واي جمال نادر في التعبير ينعم به ادبنا ولا يجده عند احد سواك..!

وفي رسالته الى « ديماس » يقول : ـ ليس في الادب الحديثة ما هو ابرع واعظم واحفل بالحنان والخير مما حوته رسائلك .

و « اندرو لانج » في كل رسالة من رسائله يبعث بتحياته الخالصة الى الكاتب الذي يتحدث عنه . وهي تحيات تتضمن الثناء على ابدع اثار ذلك الكاتب . وكل رسالة من رسائل « اندرو لانج » تفيض بالبهجة وتنأى عن الغرور وعما يمليه الهوى .. ولكن تحت الصفحة الهادئة الساكنة ينساب النقد الدقيق انسيابا هادئا رقيقا ..

* * *

كتاب « الزنجالي » او « كتاب الفجر في اسبانيا » بقلم « جورج بورو » (١٨٠٣ ـ ١٨٨١) :

كتب اميل ليجوي استاذ الادب الانجليزي في السربون والمتوفي عام ١٩٣٧ يقول : من المناسب ان نعد « جورج بورو » من الكتاب الواقعيين على الرغم من قصصه التي تتحدث عن الفجر وتقص اخبارهم . وتحمل القارىء الى عالم يبدو كأنه من عوالم الخيال .. وكتبه التي عنوانها (الانجيل في اسبانيا) و (لافنجرو) و (سيد من الفجر) اولى بها ان تسمى « مذكرات مسافر » او « لمحات خاطفة من ترجمة حياته بقلمه » من ان تسمى قصصا وروايات . ولست تجد كاتبا من كتاب منتصف القرن التاسع عشر قد بلغ ما بلغه (جورج بورو) من عذوبة الاسلوب وجدته ، وحلاوة التعبير ورقته .

ولست تجد كاتبا من معاصريه بتذوق مشاهد المخاطرات كما يتذوقها صاحبنا . فلقد كان (بورو) رجلا غريبا ذا شخصيتين ، تلقاه اليوم بروتستانتيا متزمتا . ينكر على الفجر عبادتهم للاوثان. وتلقاه غدا محبا للانطلاق والتحرر . وملاكما يجيد اللكز والوكز . ثم تراه بعد غد يصادق المشردين ويلف لفهم ..

وترجم كاتب لحياته فقال : هو كاتب ، وعالم باللغات . تلقى العلم في جامعة (ادنبره) وكان يجيد سبع لغات ، منها لغة الفجر . وقد ترك دراسة القانون ليتفرغ لدراسة تلك اللغات . وقد طاف بمدائن انجلترا . وجاس خلال القرى وعرف الفجر وصاحبهم ومشى في ركابهم . ثم عمل مندوبا لجمعية الانجيل فظل سبع سنين يطوف بروسيا واسبانيا والبرتغال ومراكش ، وهو يدرس لغة كل بلد من تلك البلاد ..

وفي عام ١٨٢٦ نشر ترجمة لاغان دنمركية . وفي عام ١٨٤٠ تزوج واستقر باحدى المدن بمقاطعة (نورفوك) وطاف بانحاء انجلترا القديمة . وكان يرحب بلقاء الفجر في مخيم اقامه بأرض له فتوطدت بينه وبينهم اواصر الود . وفي عام ١٨٧٤ الف قاموسا في لغة الفجر ..

وقال كاتب من كتاب التعريفات : ان اشخاص كتبه مستقاة صورها من مصادر اسبانية . وحياة الفجر واساطيرهم صورة تنعكس منها ظلال على رجال عصره وعلى المثل الاخلاقية السائدة يومذاك ..

و « لافنجرو » عنوان كتابه المسمى بهذا الاسم . صوره كاتبنا في صورة شاب جعل يومه نصفين فنصف في مخيم الفجر ونصف في ناد من اندية الفلسفة . وكان هدفه في هذا الكتاب ان يبين للناس عظمة الخالق وواسع رحمته ..

وكان يرى ان يشجع عمل الخير وان يشيع في الناس كل خلق كريم . وكان يطلق كلمات (العالم) و (الفجري) و (الكاهن) على اشخاص قصصه ليجعل من كل منها علما على مختلف صنوف الناس . وكان يرمي من اصطناع الاساطير ان يعلم الناس المثل الاخلاقية العليا . اما كتابه (الزنجالي) او كتاب « الفجر في اسبانيا » فقد كان ثمرة من ثمار رحلته الى اسبانيا وقد قصر الحديث فيه على الفجر وحدهم . وسحر هذا الكتاب الذي تفيض جنباته بالنوادر والقصص يتمثل في الوصف الدقيق الامين ، فالفجري الاسباني ـ كما يصفه المؤلف ـ يختلف في نواح عديدة عن الفجري الذي يصوره الخيال القصصي ..

والمؤلف يصور الفجري في كتابه هذا صورة روعيت فيها الدقة والامانة . فهو يصور للقارىء جراة الفجري كما يصور فيه بؤس عيشه ، وكذلك هو يصور فضائله واخطاءه . وهو يصور ولاءه لاسرته . وحبه لاقربائه كما يصور غدره المتأصل المتمكن ..

وقد عقد في كتابه هذا فصلا عن الفجر في مختلف البلاد وصف فيه الفجري العالمي الذي هو ثمرة من ثمار الشرق المحاط بالاسرار ..

كذلك يصور المؤلف مظاهر الالفة التي كانت تقوم بينه وبين الفجر . ويقول انه اتفق له ذات مرة وهو في مدينة « نوفجورود » الروسية ان نطق بعبارة واحدة من عبارات لغة الفجر فما لبث ان جاءه جماعة منهم تفيض نفوسهم بالبهجة وتنطق السنتهم بعبارات التحية والترحيب ..

ان حب (جورج بورو) للمخاطرة وللعيش عيشا يجافي العرف وينافي التقاليد . وكذلك ولعه بتعلم

اللفات هي امور قد سارت كلها تساند بعضها . وتعينه في كل ما كتب ..

* * *

من كتاب « حياتي كرائد من الرواد » للجغرافي المستكشف السويدي « سفن هيدن اندرس » المولود عام ١٨٦٥ : يتحدث هذا الرائد عن نفسه فيقول انه ولد في مدينة ستوكهولم . وطوف في ارجاء فارس والعراق (١٨٨٥ — ١٨٨٦) والحق بسفارة الملك اوسكار لدى شاه الفرس (١٨٩٠) وارتحل الى خراسان وتركستان (١٨٩٠ — ١٨٩١) واجتاز صحراء (جوبي) وبلاد (التبت) — ١٨٩٩ — ١٩٠٢ . وسافر من فارس الى الهند عن طريق (التبت) ١٩٠٥ — ١٩٠٨ . وعمل في بعثة صينية — سويدية (١٩٢٦ — ١٩٣٣) .. ويقول ان له مؤلفات اخرى غير هذا الكتاب منها « كتاب اسيا من ادناها الى اقصاها » (١٨٩٨) . وكتاب : « من القطب الى القطب » (١٩١١) ، وكتاب « بغداد » و « بابل » و « نينوى » (١٩١٧) ، وكتاب « بيت المقدس » (١٩١٧) ، وكتاب « جبل ايفرست » (١٩٢٢)، وكتاب « جيهول » مدينة الاباطرة (١٩٣١) .. والقارىء للكتاب الذي جعلناه عنوانا لهذه الكلمة يراه في الفصل الاول صبيا في الخامسة عشرة من عمره يقف على رصيف ميناء « استوكهولم » يرقب السفينة « فيجا Vega » وهي تدخل وعلى ظهرها العالم الجيولوجي والرحالة السويدي البارون « نوردن شولد » (١٨٣٢ — ١٩٠١) عائدا من رحلته المليئة بالاخطار التي تجشمها لاستكشاف القطب الشمالي . وسمع الهتافات التي كانت الجماهير تستقبل بها الرحالة العائد . فثارت في نفس الصبي الرغبة الملحة في ان يعود مثل هذه العودة في يوم من الايام .. واتفق له أن سافر الى (باكو) على بحر قزوين وهو في العشرين من عمره كمعلم لولد احد المهندسين السويديين ، فحولت هذه الرحلة انتباهه الى اسيا .

ولما اتم مهمته انفق المال الذي كسبه في اعداد رحلة الى ارض فارس والعراق فسافر الى بغداد ومنها اجتاز الصحراء ، ثم عبر كردستان وغرب فارس الى مدينة طهران ..

وبعد سنوات قلائل ارسله ملك السويد ليعمل مترجما لبعثة خاصة بعث بها الى الشاه فتعلم هناك اللغتين التربة والفارسية . ثم اخذ يجد في الدرس حتى استطاع بعد حين ان يحاضر ويكتب بالالمانية والانجليزية والروسية ..

وبعد الفراغ من مهمته مضى قدما في رحلة تكتنفها الاهوال ، اجتاز فيها بلاد القوقاز والعراق وفارس وتركستان الروسية وبخارى حتى بلغ تركستان الصينية .. وبعد عامين قضاهما في دراسة جغرافية اسيا خرج في رحلة استغرقت ثلاث سنوات ونصف السنة جاب فيها مساحات من الارض تزيد عن المساحات التي تفصل بين القطبين .. وصادف في هذه الرحلة اخطارا واهوالا. فتصدى له قطاع الطريق . وهبت العواصف الرملية فكادت القوافل التي كانت تصحبه ان تهلك عن اخرها .. ونظر ذات يوم فاذا به لا يملك درهما . وهو في بلاد غريبة . ولكن عيون العناية كانت تلاحقه دائما . وكان هو رجلا واسع الحيلة ، حسن التدبير ، قوي البنية ..

وفوق رمال الصحراء نفقت جماله كلها . وهلك نصف رجاله من العطش ونجا هو واثنان معه من الموت بأعجوبة، فقد عثر ذات ليلة على غدير صغير من الماء كان قد خلفه السيل فشرب وارتوى . وكتبت له الحياة ..

اما رحلته الرابعة فكانت الى قلب اسيا . وكان ذلك عام ١٨٩٩ ، وكان يعينه ويمده بالمال في هذه الرحلة ملك السويد وقيصر الروس .. وحاول وهو يستخفي في زي حاج من الحجاج ان يبلغ المدينة المقدسة مدينة (لهاسا) عاصمة بلاد (التبت) . وهو وان كان قد نجح في اجتيازه بقاعا من ارض (التبت) لم تطأها من قبل قدم رجل ابيض فقد صد اخر الامر عن الوصول الى المدينة المحرمة ..

واخر رحلة استكشافية له في ارض اسيا قد بلغت به مرة اخرى بلاد (التبت) وذلك عبر الجبال التي تتاخم الهند .. اما طريقه في تلك الرحلة فكان طريقا يحيط به الموت من كل جانب . اذ كان هو ورجاله يحاربون العواصف الثلجية والبرد القارس حربا لا هوادة فيها . وفوق ذلك فقد كانوا يعانون غصص الجوع وذلك بسبب نفاد الزاد .. ثم قامت في وجهه المعارضة السياسية من جانب انجلترا والصين وروسيا فأعاقت تقدمه . ولكنه على الرغم من ذلك قد استطاع ان يكتشف منابع نهر السند ، كما اكتشف بقاعا غير مطروقة وهو مستخف في زي راع من رعاة الغنم . ثم اذا به يقع بعد حين اسيرا في قبضة اقوام (التبت) .. ولكنه نجح اخر الامر في بلوغ ارض الهند وعبر هو ورجاله الحدود التي تقوم بين (التبت) والهند فوق سلك بحري يمتد فوق مضيق مائي بعيد المهوى .. وكان الرجال والخيل والكلاب والصناديق تجر كلها فوق حوامل خشبية .. ومن مدينة (سملا) احدى مدن الهند سافر الى اليابان حيث احتفت به الجامعات احتفاء يفوق الوصف . كما كرمته الجمعيات الجغرافية والملوك والاباطرة .. وبذلك تحققت له رؤيا صباه ...

القاهرة — مبارك ابراهيم

توارت الشمس خلف السحب الداكنة كعادتها منذ ثلاثة ايام مضت اشتدت فيها العاصفة ، واحالت الجزيرة الصغيرة الى بحيرة تتخللها المساكن الخشبية المتواضعة التي يسكنها الصيادون .

كان الصباح بلا شمس ... والصغار قد صنعوا من قطع الخشب قوارب صغيرة .. وصاروا يلهون بها في الطرقات التي اصبحت خلجانا يحاول كل منهم ان يتخذ من ابيه صورة تتفق مع خياله الضيق ، وامكانياته الضعيفة .

و « مرسى » الصبى الهادىء الوادع يتنقل بين الصغار يشارك هذا وذاك ولكنه يمتاز عنهم بسكينته واستسلامه في بعض الاحيان لخياله وافكاره .. وهو بين الحين والحين يتركهم ليذهب الى فناء دارهم حيث تجتمع النسوة بملابسهن السوداء البغيضة الى نفسه .. بعضهن يثرثر وبعضهن يبكي بهدوء بينما الباقيات قد اكتفين بما ارتسم على وجوههن من ايات الحزن والاسى اما امه فتبدو ذابلة .. قد جف وجهها .. تلقاه بثغر ماتت فوقه الابتسامة المعهودة ، ولكنها تمنحه حدبا اكثر مما اعتادت ان تمنحه والنسوة يخصصنهابالعناية والاهتمام لا تتصرف احداهن الا وتشد على يديها ... وقد تدنو منها لتقبلها ولا تقبل أخرى الا وتقصدها هي بذاتها لتعانقها باكية .. وتهمس بعبارات مؤمنة تزيد من يقينها بالله .

ويقف الصبي ذاهلا .. وعقله الصغير يحاول ان يفهم مغزى كل حركة يراها ، وكل همسة يسمعها وقد انتابه شعور عميق بالقلق والحزن .. يقف ازاءه كالعاجز الذي لا يملك من امره شيئا .

وتاهب ذات مرة ليعود ادراجه الى الصبية الصغار عساه يظفر لديهم ببعض الراحة التي تنشدها نفسه ... ولكن باب الدار يفتح ويظهر رجل خشن المظهر ... حائل اللون غائر العينين قد طال شعر لحيته ، وبدا مبعثرا بلا نظام في انحاء وجهه الذيتبدو فيه اثار كدمات قليلة ، وثيابه الرثة الممزقة تفوح منها رائحة غير مقبولة هي مزيج من رائحة العرق والسمك والطين ... حافي القدمين تبدو فيهما شقوق غائرة تستر بعضها طبقة رقيقة من الطين .. خائر القوى يلهث كانما عاد من شوط بعيد .. ولم تكن تلمحه النسوة حتى هرعن نحوه يتجاذبه وهو لا يقوى على الاحتفاظ بنفسه بين جذبهن ثم ترتمين بمقربة من الباب فيلتففن حوله في شبه حلقة وهو بين الحاحهن عليه مستفسرات سائلات ـ يهز راسه ويود ان يتمهلن ريثما يسترد قوته .



بقلم يوسف حسن نوفل

ويقول لهن بصوت واهن متكسر : اصبروا .. ساخبركن .

و « مرسى » قد اسند ظهره الى الحائط واخذ يرقب الرجل بعينين مفتوحتين محملقتين يلمع فيهما الامل والرجاء واذنين مشدودتين اليه .. وقد عقد يديه وراء ظهره بعد ان كان قد كبا على وجهه اثناء اندفاع النسوة نحو هذا الطارق .. وحانت منه التفاتة الى امه فوجدها ترمق الرجل بعينين ساهمتين وقد عقدت الدهشة على وجهها حيرة يمازجها امل وخوف وسالت على وجنتيها دمعتان تلمعان .. لم يكد يراهما حتى احس هو الاخر بدموعه تتساقط على وجهه .

قصة

وجال الطارق بعينيه فيمن حوله .. ثم ركزهما قليلا على وجه ام « مرسى » ومــا ان لمح « مرسى » حتىسارع فمديده وهتف من اعماقه : « مرسى » .. تعال واسرع « مرسى » اليه واحتضنه الرجل وقبله بحنان بالغ وهو يبكي .

وضج فناء الدار بعويل النسوة وبكائهن .. لكانما يتسابقن في اختيار العبارات ذات الوقع الحار الحزين .. ثم اخذت اصواتهن في انخفاض قليلا قليلا ..حتىتلاشى تماما حينما سمعن الرجل يخاطب « مرسى » ويضمه ويقول بصوت حنون ضعيف :

« ابوك حي يا بني . ابوك حي ».

وعاد النسوة اليه والتففن حوله كما كن من قبل .. بعضهن اسرع بالسؤال والاستفهام .. وبعضهن اكتفى بالانتظار والانصات .. ثم بلع الرجل ريقه بصعوبة .. وطلب قليلا من الماء . ثم طوق « مرسى » بذراعه واجلسه الى جانبه .. وطفق يقول :

« ام مرسى .. اطمئني .. ابو مرسى حي » .

ثم اخذ نفسا عميقا واستطرد :

« اه لو سمع كلامي .. ما تفرقنا قلت له : « يا ابا مرسى لا ينبغي ان نفترق .. فلنربط حبلا على رجلينا .. ونعوم ان متنا نمت معا وان عشنا نعش معا » .

ولم يكد الرجل يصل الى هذا الحد من حديثه .. حتى دوى الفناء بالصراخ والعويل لكانما كان هذا الكلام تصريحا بموت « ابى مرسى » غريقا في اعماق البحيرة .

ثم يستطرد الرجل بصوت مرتفع لاداعي للجلبة .. ما زال الرجل يتمتع بالحياة .. ما زال حيا .

ثم اعتدل وقال :

« لما بلغت الشاطىء .. القيت نظرة فلمحت على مرمى البصر شيئا يتحرك فوق قطعة خشب كبيرة بجوار المركب الغائرة في الماء ...

ساعتها شعرت برغبة جارفة في الرجوع اليه ولكن لم استطع ان اسيطر على نفسي .. خارت قواي لشدة البرد وقوة الموج كانت الريح تعوي والمطر يهطل .. فآثرت ان انتظر ريثما يصفو الجو واسترد بعض قوتي واقبل الليل ولم اعد ارى شيئا سوى الظلمة التي تغلف الكون » .

ثم يحدث نفسه وعيناه واجمتان :

« اه استغفر الله العظيم .. هذا غضب الهي بدون شك !!

لم اسمع بعاصفةمثل تلك العاصفة لقد كانت المركب كالريشة فوق الماء ولم يشعر احد منا الا والسفينة فوقنا شعرت بيد قوية تجذبني بشدة الى الخارج كانت يد « ابى مرسى » وظللنا معا فوق قطعة خشب كبيرة حتى اقبلت موجة قوية فاصطدمت بنا ودفعت به بعيدا عني .. ومرت دقائق حاسمة ابتعد فيها عني وصار الاتصال به صعبا . اه .. الله معك يا .. مرزوق . »

ثم شهق واحتوىوجهه بكفيه واستسلم للبكاء .

وانتبه « مرسى » ليد صغيرة تشده .. صبي مثله يدعوه .

واستجاب «مرسى » وانصرف مع الصبي الصغير وسار الى جانبه مطرقا حزينا والصبي الاخر يحاول ان يستدرجه الحديث لينتزعه من صمته ويبرد عنه حزنه .. ويقول له ببراءة وذكاء :

« خذ يامرسى هذه المركب الصغيرة التي صنعها لي ابي هيا لنلعب معا » .

ولكنه لا يجد من « مرسى »سوى الصمت والاطراق ولا يكاد الصبي يلمح في عيني « مرسى » بوادر دمعة توشك ان تطفر يجذبه ويندفع معه ويخوضان المياه التي غمرت الطرقات وارجلهم الصغيرة تغوص فيها .. ولكن « مرسى» يحس للمياه حرارة على غير عادته .. انه يحس فيها دفء صدر ابيه .. ويحس في ليونتها .. ليونة القبلة ورقتها .. ويسيران حتى اذا بلغا الشاطيء .. تجذب البحيرة باتساعها وصخبها ناظري الصغير « مرسى » فيجيل ناظريه في الاطراف المترامية للبحيرة ويجذب اهتمامه كل حركة يرمقها نظره الصغير فوق سطح المياه التي تبدو كمرآة مغبرة . ويحس في اذنيه شيئا كالهمس المكتوم لكل موجة تتكسر على رمال الشاطيء وتتراجع مترنحة لتقبل مرة اخرى اقوى مما عادت ... ولكن هل يقبل كل شيء اقوى مما كان ؟

في المساء كانت ام « مرسي » تحتضن صبيها الوحيد تمنحه دفئا وحبا ... ودوى العاصفة يكاد يصم الاذان .. والريح يسمعها « مرسى » كالانين المكتوم فتتجسد في عقل الصغير اخيلة متراقصة مخيفة .. يتصور اباه وقد قضت عليه العاصفة . ويتذكر « جنية البحيرة » فيرتجف ويزداد انكماشا والتصاقا بصدر امه . ثم تنتزعه اخيلته مرة اخرى ويتصور اباه وقد جذبته « الجنية » .. من فوق سطح المياه وغاصت به الى الاعماق ..

ويروح « مرسى » في سبات ...

تنبهت امه منزعجة حين شعرت به يهب من نومه فزعا .. واخذت تهديء من روعه .. وساعتها لم تقو على حبس دموعها .. وتتابعت قطرات الدمع حارة ساخنة فوق وسادتها واوشك قلبها ان يذوب حنينا الى الزوج الغائب وراء اسرار البحيرة وغموض العاصفة .

تيقظ الصبي على غير عادته مبكرا .. وتحسس الفراش عن يمينه فوجد امه مازالت في سباتها .. ولم يكد يتهيأ لاستئناف النوم حتى سمع « الشيخ عبد السميع » يبدأ في اذان الفجر فاستشعر لذلك راحة عميقة واستبشارا جميلا لم يكن يشعر بمثله من قبل ... فقد عاقت العاصفة في الايام الثلاثة الماضية « الشيخ عبد السميع » عناداء مهمته وفهم الصبى ان العاصفة هدات قليلا .. وتابع الاذان .. ثم طار النوم من عينيه .. ظل محملقا بسقف الحجرة الخشبية البسيطة .. كان يأنس لاطمئنان روحي داخلي .. ثم يعود الى الفزع والوحشة حين تعاوده اخيلة حول ابيه الغائب .. واحس برغبة عميقة في الخروج .. وتريث قليلا حتى يبزغ ضوء اليوم الجديد ...

كان قد تعود في اوقات خاصةمن السنة ان يكون في انتظار ابيه على الشاطيء كل صباح فلم لايخرج اليوم ؟ ... وقد هدأت العاصفة قليلا .. ربما عاد الغائب خلف الاسرار .

لم يكد يلمحبوادرالضوء من خلال ثقوب جدران الحجرة حتىتسلل بخفة حتىلاتمنعه امه .. وانسل الى خارج الدار .. وطفق يعبر المياه الضحلة في الطريق الى الشاطيء الذي كان هادئا ... غير انه لمح على البعد اناسا ... واخذ يعدو نحوهم

كانوا ثلاثة .. وجدهم مشغولين فياحكام رباط مراكبهم حتى لاتجرفها الامواج وتبعدها عن الشاطيء .. ولم يشعر به سوى احدهم .. ولكنه لم يعره اهتماما .. وعاد يسير بلا هدف على الشاطيء .. وفجأة .. توقف .. شعر بشيء يشده الى حيث ينظر . وبشيء يجذبه الى حيث يقف .. وتردد قليلا ثم ندت عنه صيحة تجاوب صداها في الفضاء الواسع ، واسرع مهرولا نحو الماء .. حتى بلغ الماء صدره ثم توقف مترددا حائرا وهو يقول : « ابي يا ابي تعال .. تعال يا ابي .. اني عاجز عن الوصول اليك .. ابي .. ابي .. »

وما زال على حالته تلك حتى بلغه الرجال الثلاثة تاركين مراكبهم لينقذوا الصبي .. وانشغل احدهم به .. وتعاون الاخران في سحب جثة ابي « مرسى » الى الشاطيء . و « مرسى » يصيح وينتفض كالمحموم !!

القاهرة **يوسف حسن نوفل**

كم عتبنا على الزمان

* * *

ذلك النهر كم صبوت اليه   في اغترابي وكم حنوت عليه
ما ذكرت الشام ويحي الا   خلتني جاثيا على ضفتيه
تارة الثم المياه واخرى   اتهادى كالطير بين يديه
وفؤادي كم راح ينشد ليلا   موحيات الهوى سجودا لديه
رب رحماك ما سألتك يوما   من حياتي غير الاياب اليه
يا لذاك الغدير اغشاه في   الصبح لاطوي على سناه جفوني
اخلع النعل في الضفاف واجثو   باحتشام ما بين تلك الغصون
ارسل الحمد للسماء وكفي   فوق صدري والدمع ملء عيوني
« لست ادري غدي ولكن سيأتي   وغدي ان جهلته يدريني »
رب فاعطف على الغريب وحقق   رب ان شئت بالرجوع ظنوني
كم اممنا العاصي وقد خلع   الفجر علينا من السنا جلبابا
وبنات الورود قمن حواليه   سياجا يفعمنه اطيابا
ستظل الخمائل الملد نبغي   في حماها عن العيون احتجابا
بين سرب من الدمى كم رشفنا   الخد منها وكم مصصنا الرضابا
نثرت شملنا الليالي فلا ندري   انلقى بعد الغياب ايابا
اين مني الديار أنشر احلامي   عليها ما بين تلك التلال
فارود السفوح الشم فيها   عاطرات الزهور تحت الدوالي
ممسكا بالرفاق نرقا حينا   مجثم النسر في رؤوس الجبال
او نجوب الحقول حينا نناجي   صادحات الطيور بين الظلال
ايها الخافق الوجيع تنكب   عن سبيل الهوى ضللت السبيلا
يشهد الله ما لستك الا   خلت بين الضلوع داء وبيلا
ضاق صدري عن حمل دائك حتى   بات عيشي عليه عبئا ثقيلا
ان احلامك العذاب تــوارت   منذ تخذن النوى اليها دليلا
من يراني والشوق يلهب صدري   والرزايا تدق مني الضلوعا
احتسي خمرة الشجون نجيا   تحت ستر الظلام ابكي الربوعا
ارسل الانة الوجيعة تطوي   فحمة الليل ما تلاقي سميعا
حبس الهم بين جنبي قلبا   ذاب للاهل صبوه وواوعا
ان من كان للديار وفيا   تخذ الذكر للديار قلوعا
لج بي الشوق للربوع فارسلت   خيالي يستطلع الاخبارا
ويجوس الشام بيتا فبيتا   هل يرى فيه للخنوع قرارا
طاب فالي فليس قومي الا   عبرة الدهر غرة وازدهارا
نشط الاسد للوثوب فثوري   يا دنى المجد واثاري الاقدارا
لا اقمنا على هناء اذا لم   ندرأ الكيد عنوة واقتدارا
كم عتبنا على الزمان فما جادت   بنات الزمان يوما ببسمه
وقرعنا الصدور في معبد الحق   نقاضي السماء دفقة رحمه
وملانا مسامع الدهر نوحا   نتشكى الاسى وننشد حلمه
وطرقنا العروش بابا فبابا   نستجير الورى ونسال حكمه
وغمرنا الدنى عويلا فكنا   في جبين العلى سوادا ووصمه
موطني مربض الاسود فاين   الاسد منه تصد عنه العوادي
ورعيل الاباء من فتية المجد   ينادي الثبور في كل ناد
وركاب الشباب تحمل للثار   اسودا الى النجيع صوادي
يغمرون البطاح والارض عطشى   لارتشاف الدماء يوم التنادي
رب هذي امنيتي فانصر الحق   وشدد سواعد الاولاد

الارجنتين   فائق جبور



ابراهيم عبده الخـوري

شاعرية موسى نمور

بقلم ابراهيم عبده الخوري

شعر المناسبات اثبت وجوده ، وبقي بعد موت اصحابه في ابهى مظاهره .

وهناك العديد من شعرائنا المجلين عرفوا بقصائدهم التي نظموها في مناسبات مختلفة ، منها السياسة والاجتماعية والوطنية ، ومنها الفنية والموسيقية ، ومنها الادبية .. واليوم يرجع الى قصائدهم تلك نظرا لقوة الخلق فيها ، ودقة التصوير وحلاوة اللفظ . وموسى نمور ، الصحفي والنائب والوزير ، يعد واحدا من اولئك الشعراء .

في حياته كان كتلة من نشاط . لقد عاش في بيئة سلطت السياسة اضواءها عليها ، ولقيت فيها الحركات الادبية الناشئة مرتعا خصبا .

دخل المعترك السياسي ، وكرس له الكثير من وقته . ولم يمض طويل وقت حتى بدا يتقلب في مناصب سياسية حساسة . لقد خاض المعارك الانتخابية . وقد حالفه الحظ اكثر من مرة . فاصبح نائبا ، ثم رئيسا لمجلس النواب في عشر دورات متتالية وذلك من عام ١٩٢٢ الى عام ١٩٣٠ ، ثم وزيرا للداخلية ونائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للمالية ...

ورغم انشغاله بالسياسة ، فانه اعار الشعر اهتماما ، وهو الذي فطر على النظم منذ مطلع شبابه . فوضع قصائد متنوعة الابواب ، ذاهبا في التأكيد الى ان الجو السياسي الذي انصهر في بوتقته لم يمنعه عن تعاطي فن ادبي احبه منذ حداثته . ولا ننسى انه مارس الصحافة ردحا من الزمن ، اذ انه ساهم في تحرير واصدار عدة صحف سياسية محلية . كما انه انشأ مع الشيخ يوسف الخازن جريدة « البلاد » التي ضمت نخبة من الاقلام البارزة .

طرق ابواب الغزل والفخر و لرثاء . وطرق ابواب السياسة والوطنية والاجتماع . فلم يوفق الا في الوانه الاجتماعية والوطنية . وهذه الالوان اهلته لان يقف في صف الشعراء الذين لهم اثار باقية .

لقد جاءت قصائده الاجتماعية والوطنية نابضة بالاحاسيس الوجدانية . ومن يقرأها يلمس بيده سرعة الخاطر عنده ، ورقة الحس ، واصالة لمنى ، ويسلم بان صاحبها اخلص في اداء عمله ، وهو – والحق يقال – عمل شاق ، مضنك ...

خذ مثلا قصيدته المعنونة « المهاجر » . انك تجدها مفعمة بالاحساسات . وفيها يتكلم باسم الذين غادروا هذي البلاد سعيا وراء لقمة عيش ، وطمعا وراء كسب مادي ومجد اثيل ، ويرسم لواقعهم صورة صارخة ونقية ، يمكن الرجوع اليها عندما يؤخذ تاريخ الهجرة عندنا بعين اعتبار :

صبرنا عن فراقك لا تفوقا ... وبنا عن ربوعك لا ذهولا
ولكن الاقامة فيك اضحت ... جمودا لا يليق بنا سبيلا
رأينا الناس تستبق المعالي ... وتركض في تطلبها خيولا
وليس القوم اوفرنا نشاطا ... وليس الناس اكرمنا اصولا
غدونا نبتغي مالا حلالا ... ورحنا ننشد المجد الاثيلا

وبرز حبه لوطنه في كل قصيدة جاء ذكره فيها . وكان حبا متفجرا ، اكد فيه انه يفديه بنفسه كلما عصفت به رياح الشر . وغالبا ما كان يتحدث اليه باسم أبنائه المخلصين الذين اقسموا بأن لا يرتضوا عن شعاره بديلا :

وانا ان أهبت بنا نلبي ... شبابا أم شيوخا أم كهولا
وانا ان تلم بك الرزايا ... دفعنا شرها حتى تدولا
شعارك دائما أبدا شعار ... لنا لا نرتضي منه بديلا
وحبك خالد في كل صدر ... مكين لن يحول ولن يزولا

ورأى الفوضى تدب في احشاء قصر العدل . فوقف يهاجم اسياده ، الذين وصلوا الى ما وصلوا اليه من مراكز كبيرة في الدولة ، بفضل الانتداب الفرنسي ، بالرغم من عدم توفر الحنكة لديهم والخبرة القضائية :

فالذنب ذنب الالى اثاروا ... على شيوخ القضا الوغى
فاستبدلوا منهم شبابا ... همهم اللهو والصفا
لا حنكة عندهم ترجى ... ولا اختبار ولا ابا
وجل ما يطمعون فيه ... عطف الفرنسي والرضى
فمن يحز منهم رضاه ... نال به غاية المنى

واسمعه في قصيدة يصور مأساة اليراع ، في زمن الحرب ، امام قصف المدافع وصليل السيوف :

سكت اليراع غداة قام المدفع ... يملي على الدنيا الكلام فتسمع

اللحن الحزين

غني فهذا اللحن يا حسناء من وهمي وظني
انا يا ابنة الالام قد صفت الحياة نشيد حزن
أفما ترين الليل قد ارست ذوائبه بجفني
غني . فلا كان الجنى في جانحي ولا التمني

* * *

لا تصمتي اني عرفت الشجو في الصوت الاغن
واكبته طفلا فعاش لخافقي خدنا لمخدن
شرب الثمالة من كؤوس سعادتي فحطمت دني
وغزلت من اطلاله وتري ابث عليه لحني

* * *

حسناء ان بكت الطيور وعهدها ابدا تغني
او ناح غصن في الطبيعة يشتكي.شوقا لغصن
فنواحها من نوح قلبك والبكا سرقته مني
طفلان نحن ضحيتان غرقنا في بحر التجني

مرمريتا ـ سورية　　　　طلعت يازجي

صدان لم يجمعهما زمن مضى　　أترى الزمان اذا تأخر يجمع
اما يرعك من اليراع صريره　　فدوي أصوات المدافع أروع
والسيف اقطع في النفوس ضريبة　　من حد ذا القلم الذي لا يقطع

تنقل الشاعر في مجتمعات متنوعة الاهواء ومختلفة المظاهر . فوقف عن كثب على اعمالها ، وتعرف الى العديد من ابنائها . تعرف الى المحامي والطبيب .. الى التاجر والمزارع .. الى الخياط والحداد .. تعرف الى الثري والفقير .. الى الظالم والمظلوم .. فانبرى يصور افراحهم واتراحهم . وقد ركز صوره ضمن اطارات تصمد في وجه الاعاصير .

اسمعه في قصيدة رائية يهاجم رجال الثروات الفاحشة، ويحثهم على مناصرة الفقراء . يقول موجها كلامه الى الاغنياء :

يا اغنياء الناس من ثمروا　　اموالهم من دم قلب الفقير
جودوا عليه بالقليل الذي　　يقي الردى واحتفظوا بالكثير
براكم البارىء من طينة　　واحدة في سالفات العصور
وكلكم غاد الى حفرة　　تضمكم طرا ليوم النشور
فلا تقولوا : اننا سادة　　وذاك ما ذلك الا اجير
اعطوا كما أعطاكم عله　　يرحمكم وهو الرحيم الغفور

وفي قصيدة نونية يؤيد موقف الفقراء في السعي وراء عيش كريم ، ويؤكد ان اعمال البر والاحسان هي هي ان جاءت من قبل المسلم ام من قبل المسيحي ..

البؤس ما بين البرايا واحد　　لا مسلم فيه ولا نصراني
والبر في الانجيل مثل البر في　　التوراة مثل البر في القرآن
عار علينا ان يحول تعصب　　من دوننا في ذا الوجود الفاني

ثم يتحدث عن تعاون البشر مع بعضهم البعض ، ويرى ان الاخاء ضروري ، وان فضل الحقيقة عميم . يقول :

لو يجهل الناس الحقيقة دأبهم　　عاشوا جميعا عيشة الاخوان
يحيى الاخاء فانه لكياننا　　روح كمثل الروح للجثمان

وهناك قصائد ضمت صورا اجتماعية ووطنية يضيق المجال هنا عن ابرازها .

وبعد ، ان موسى نمور انسان حمل مشعلي السياسة والشعر في وقت واحد . وقد قامت شاعريته على الوانه الاجتماعية والوطنية . وهذه الالوان سوف تظل ، في عالم الشعر ، تدل على ان باستطاعة الشاعر ان يضع القصائد ويعتني بها ، رغم انشغاله باعمال قد تكون بعيدة عن الاجواء الادبية .

ابراهيم عبده الخوري



الفنون الادبية .. وأعلامها

تاليف انيس المقدسي – ٦٦٤ صفحة – حجم كبير – منشورات دار الكاتب العربي ببيروت

شهد الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية ، حركة محمومة لنشر التراث العربي ، وتهافتت دور النشر والطباعة على نشر خوالدنا الادبية الرائعة ، وقامت بينها منافسة حامية لم تقض على روح الحماسة التي التهبت في صدور الناشرين ، وانما زادتها حيوية واحتدادا .

ولقد كانت هذه الجهود كلها مركزة على التراث الادبي الكلاسيكي ، بدءا بالعهد الجاهلي ، ومرورا بعصر صدر الاسلام والعصرين الاموي والعباسي .. وانتهاء بعصور الانحطاط . اما العهد الحديث .. الذي بزغ فجره على الوطن العربي ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .. وملأ نوره العيون في مطلع القرن العشرين ، ولا يزال ، فانه لم يحظ بالقدر الكافي من عناية الناشرين . وما برح القارىء يبحث عبثا في المكتبة العربية عن كتاب يدرس نشأة الفنون الادبية الحديثة ، في مهادها الاجتماعي ، وضمن اطارها التاريخي .. ويبين المناهل الكبرى التي غذت تلك الفنون الناشئة ، ويلقي اضواء على النوازع التي كانت تعتمل في نفوس ادباء العصر الحديث، ذاك ان معظم ما ينشر من الادب الحديث ، لا يعدو كتابا او بضعة كتب لنفر من ادباء النهضة ، ولقد نلقى بعض كتب يحاول ان يؤرخ حياة واحد من هؤلاء الادباء او اكثر .. لكننا لا نقع على ذلك الكتاب الذي يقدم الينا ادبنا الجديد ورجاله ، كمجموعة من الفنون والاتجاهات والاشخاص ، اولا ، دون ان يسلخهم عن سياق الحياة والاحداث التي عايشوها ، ثانيا ، ويظل ينظر الى الامر كله ، على انه فكر ومفكرون ، وأدب وادباء .. سبقتهم جملة من المهدات والمقدمات ، وواكبتهم مجموعة من المؤثرات ، ثالثا ، ثم يسلط على الموضوع كله انوار فكر نقاد موضوعي ، ويقلبه على مختلف وجوهه واحتمالاته ، حتى يصل الى الوجه الاصوب ، اخيرا .

في هذه الغمرة ظهر الى النور كتاب « الفنون الادبية واعلامها » للاستاذ انيس المقدسي . يوحي الكتاب ، للوهلة الاولى بان وراءه ، لا شك ، جهدا كبيرا ، فهو يقع في ما يقارب ٦٥٠ صفحة ، وتسويد هذه الكمية من الصفحات وحدها يترتب عليه عناء بالغ وتعب شديد، فكيف .. بها ، وقد حملت في ثناياها محاولة موسوعية لتاريخ الادب العربي الحديث وتقويمه ؟!

يبدأ الكتاب بتصوير الجو السياسي الذي كان يرين على البلاد العربية في القرن التاسع عشر ، في ظل السلطنة العثمانية ، ويعرض الواقع التاريخي للوطن العربي من جوانبه جميعا ، فولاة السلطان العثماني ، في الاقطار هم الحاكمون المطلقون بأمرهم يستزلون الاقطاعيين ، ولا يهتمون الا بتحصيل الضرائب وجباية الاموال ، واتباعهم الاقطاعيون لا هم لهم الا ان « يحلبوا الرعية اشباعا لانفسهم وارضاء لاولي الامر في الاستانة » . وتبع ذلك فساد في الادارة ، وتنازع بين الاقطاعيين على المناصب واستبداد طائفي .

كانت النتيجة الطبيعية لهذا الاطار السياسي المخلخل المتهرىء ، ان اهتزت الصورة الاجتماعية التي يضمها ، فاذا البلاد غارقة في ظلمات الجهل والفقر والمرض ، واذا شبح التعصب الطائفي يرين عليها ، ويفسد العلائق بين المواطنين جميعا من جهة ، ويمزق ما اتصل منهم بالوطن والارض من جهة اخرى ..

وواكب ذلك كله تاخر عمراني عجيب ، حتى ان مدينة بيروت التي تكاد ان تكون اليوم « باريس » العرب ، لم يكن عدد سكانها ليتجاوز الثمانية الاف نسمة في اواخر الربع الاول من القرن الماضي ، « بلدة صغيرة مسورة ، طولها من الشمال الى الجنوب نحو الف يرد ومن الشرق الى الغرب نحو ٥٠٠ . وكانت شوارعها ضيقة جدا ، قذرة كثيرة الاعوجاج ، ومنازلها عبارة عن مزدحم من البيوت ذات الطبقة الواحدة ، تنتابها الرطوبة ايام الشتاء ، وليس بينها الا بيت واحد ذو نوافذ زجاجية ، هو بيت قنصل بريطانيا » ، « وكانت تستضيء بمصابيح من فخار تملأ بزيت الزيتون وتغمس فيها فتائل على نسق المصابيح الجاهلية » .

وكان نظر الناس الى الحياة والطبيعة وما وراءها ، في ذلك العهد، امتدادا للقرون الوسطى . « والامية جو ملائم كل الملاءمة لانتشار المعتقدات التي لا يقرها المستنير بنور المعرفة ، ومن ذلك اعتقاد الناس بالسحر وما يتعلق به من ضروب الاوهام والخرافات » .

وكان لا بد من ان تكون العلاقات بين الرجل والمرأة ، وفي العائلة، صورة عن العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، قوامها العسف والعنت ، وظاهرها الاستبداد والتعالي والغرور ، فاذا بالحياة الاجتماعية تزداد ضغثا على ابالة ، واذا باطواق الجمود والجهل والعبودية ، تمعن في التضييق على خناق المرأة .. تلك الدعامة الاخرى للحياة الاجتماعية .

بدهي بعد ذلك ان يكون الروح العلمي مصابا بالتبلد والجفاف والسقم ، بعد ان امسى الشعب اميا ، الى حد ان تجار بيروت – مثلا – كانوا يعتمدون في كتابة رسائلهم وتسجيل حساباتهم على نفر قليل قدر لهم ان يقرؤوا ويكتبوا .

.. وبقيت حال البلاد العربية ، على ما آلت اليه من تأخر وجمود.. حتى مطالع النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حين اخذت تشرق عليها اقباس من المدارس التي افتتحتها البعثات الاجنبية ، وبدات خيوط من الفجر المرتقب تتسلل رويدا ، لتشرع بتبديد الظلمات المطبقة المتكاثفة .

في هذا المناخ الثقيل فتح رواد النهضة العربية اعينهم ، وراحوا يتلمسون الاضواء ، ليروا هم اولا ، وليشرعوا من ثم في اضاءة العالم الباهتة ، وتبديد العتمات المتراكمة على دروب الاجيال ..

لقد اتبع الاستاذ المقدسي في تاليف كتابه هذا منهجا مدرسيا ، قسم بحسبه فنون الادب قسمين ، يرجع اولهما الى بواكير عصر النهضة البعيدة في بداية القرن التاسع عشر ، ويبدأ الثاني بعيد النصف الثاني من القرن نفسه .. ويمضي حتى ايامنا هذه .

واطلق على الرجال الذين غرسوا بذور الثقافة ، لتنمو ، وتنبت فروعا واغصانا وجنى داني القطوف فيما بعد ، اطلق عليهم اسم « اعلام الرواد » ، وقدم الينا اربعة كبارا منهم هم : « ناصيف اليازجي ، ورفاعة الطهطاوي ، وفارس الشدياق وبطرس البستاني » .

وما دامت الحياة الفكرية والثقافية والادبية ، لم تكن قد اختمرت بعد ، في ذلك العهد ، فقد آثر الاستاذ المقدسي ان يدرس الحركة الفكرية عامة ، والادبية خاصة ، من خلال دراسته لهؤلاء الرواد والاعلام.

ونحن قد لا نلقى اليوم ، في ما تركه لنا اولئك الرواد العمالقة ، ذلك الاثر الادبي الرفيع المعجز ، ولكن أليس يكفيهم فخرا وشرفا انهم

حازوا على قصب السبق ، واستطاعوا ان يبتكروا الطريق ويعرفوه ، ويتبينوا معالمه وسط الغياهب السوداء، وخلال الكتل الصماء الجامدة!.

والاستاذ المقدسي ، اذ يدرس لكل واحد من هؤلاء الاعلام ، يظل امينا على منهجه العلمي المدروس ، ويبقى مصرا على ان يضع كلا منهم، في المكان الذي يؤهله لاحتلاله ، التطور الاجتماعي ، والحركة الفكرية في عصره .

انه لم يقدم الينا الاساتذة الرواد ، كمجموعة من الناس ، معزولة عما حولها من التأثيرات والتيارات ، ولم يحاول ان يوهمنا بأنهم جاؤوا بالمعجزات العجيبة ، في فنون الادب ، بل اعطى كل واحد منهم استحقاقه، واحله المطرح اللائق به.. بعد ان سلط على نوازعه الفكرية ، وابداعاته الادبية انوارا وهاجة ، من تبيان للطقس الاجتماعي الذي عاش فيه ، وايضاح للدوافع النفسية والذهنية المختلفة التي كانت وراء اعماله الادبية .

فاذا انتهى من ذلك كله ، القى نظرة سابرة متعمقة على آثاره الادبية المختلفة ، محاولا ان يفيها حقها من التقويم ، مسجلا ما لصاحبها من مميزات لفت الانظار بها الى نفسه ، وآخذا ما عليه من عيوب وهنات ، انتقصت من قيمة ادبه، وخفضت من وزن احكامه وارائه .

وخصص القسم الثاني من الكتاب لاعلام الفنون الادبية ، الناثرين، بعد عصر الرواد ، وقسم هذه الفنون خمسة اقسام هي بالتسلسل : المقالة والخطابة والقصة والسيرة والنقد .

وعرض فرسان كل فن على حدة ، واسبق عرضه بدراسة عن هذا الفن، تجيء كضربات الفنان الصناع ، مختزلة وسريعة ، الا انها مانعة جامعة .

ولم يكن ليكتفي بدراسة كل فن ، وهو في حاله الراهنة ، بل كان يلح الحاحا منهجيا على ان يتسقط جذور كل فنان في تراثنا العربي، ويتقصى كل الاصول والجذور في المناهل الاولى العريضة ، ومن ثم يصور ما طرأ على هذا الفن من تبديل عبر التاريخ ، ويظل يتتبعه ، في مده وجزره ، حتى ينتهي به .. الى عصرنا الحاضر .

وعندما يأتي دور احد اعلام هذا الفن في الموضوع ، فانه يعيد الكرة نفسها .. فاذا نحن نقرؤه ، وسط البيئة الفكرية التي ترعرع في احضانها ، ونفهمه من وراء تأثراته الاجتماعية والثقافية ، فاذا وصلنا الى طور تقويمه لم نستطع الا ان نشاطر الاستاذ المقدسي رأيه ، ونقاسمه حكمه قانعين راضين ، ذاك انه يتمتع بقدرة على الموضوعية فائقة ، ويستطيع ان يتعالى فوق نزعاته الشخصية ، ونزواته الفردية ، ويسلس قياده للحجة تقارع الدليل ، وللفكرة تدحض الفكرة .. مترفعا عن الخوض في تافه الراي وسقيم الموضوع ، تاركا الفصل في كل موضوع يعرضه الى نص .. للكاتب المدروس نفسه .. يثبته في الكتاب وينتزعه من احد مؤلفات الكاتب المعروفة .

هذا هو كتاب « الفنون الادبية واعلامها » للاستاذ المقدسي ، وانه ، لا شك ، مرجع ممتاز ينضاف الى المكتبة العربية ، فيملأ مكانه الفارغ المنتظر .. وهو وان لم يظهرنا على نظرة خاصة لصاحبه الى النهضة الادبية الحديثة الا انه عوض ذلك بالامانة العلمية ، والجهد الدؤوب ، والاخلاص الموضوعي المتفاني .

ولا نجد بأسا من التوقف قليلا عند هذه النقطة . فنحن قد درجنا على التاريخ لادبنا العربي القديم ودراسته ، بذهن معجب اعجابا مسبقا بالروائع والمعجزات ، ثم رأيناه بعين محبة كليلة عن كل عيب ، فحرمنا من تلك الاطلالة الجسورة على تاريخنا الادبي ، من ذرى ناقدة متعالية ، لا هوادة في لمحاتها ، ولا تهاون في ملاحظتها ، ولم نظفر حتى الان بتلك الرؤية الكلية التي تشمل ادبنا القديم بنظرة معاصرة بعيدة عن الاعجاب السلفي والتحيز العاطفي . وكل ما اخذناه على اجدادنا ، لم يعد حدود النقد الجزئي ، من خلال المفاهيم النقدية المتداولة ، وانما نحن في حاجة ماسة الى ذلك الدارس الذي يستطيع

ان يرى الى تراثنا رؤية كلية ، يستطيع بعدها ان يحله الموضع اللائق به .. بين اداب العالم .

ولعل هذا هو نفسه ما حصل للاستاذ المقدسي ، ونحن لا نجرؤ اطلاقا على نكران الجهد القيم المشكور الذي بذله في سبيل اخراج مؤلفه الكبير ، الا اننا كنا نود له ، لو استطاع ، ان يخرج على الاسلوب الكلاسيكي المدرسي ، في التاريخ والدراسة ، ليغنينا بنظرة طريقة جديدة ، وليأتينا بمفهوم معاصر ، نستطيع ان نلمح تراثنا من خلاله .

ورغم انه كان يلح على ان يجعل مواضيعه غاية في الاستقصاء والشمول ، الا ان التوفيق كان يجانبه بعض الاحيان ، ويبدو ذلك واضحا تماما حين نطلع على ما كتبه في موضوع القصة ، ولا سيما القصيرة منها .

فهو يقول في صدد القصة السورية الحديثة انها اتخذت مجريين رئيسيين احدهما تاريخي والثاني اجتماعي . ويستشهد بكتابات علي الطنطاوي وصلاح الدين المنجد في مجال القصص التاريخي ، وبقصص علي خلقي ومحمد النجار وميشال عفلق في المجال الاجتماعي ، ولا يذكر احدا سوى هؤلاء ، ويحاول ان يكتب شيئا عن القصة الحديثة ، فلا يرى شيئا بين يديه ، فيستشفع لنفسه بحاشية يقول فيها : « بين الشباب السوري عدد من كتاب القصة الحديثة وفي انتاجهم القصصي ما يشير الى مستقبل فني وضاء . وقد حرصت مجلة « المعرفة » على التنويه بمنتجاتهم الادبية فلتراجع » .

والحقيقة ان قصص الطنطاوي والمنجد التاريخية ، لم تعد حدود المحاولة القصصية ، وظل غالبا عليها طابع السرد التقريري الجاف ، وظلت في شكلها الفني اقرب الى اسلوب الحكاية منها الى القصة .. بأسلوبها الفني الحديث . واما قصص علي خلقي ومحمد النجار وميشال عفلق ، فقد أكل الدهر عليها وشرب وغدت في جملة المستحاثات التاريخية . ولكن .. أليس في سورية غير هؤلاء من كتاب القصة ؟ هل اجدبت القرائح ، وجفت الاقلام ؟ ان القرائح ما زالت ندية ريانة ، والاقلام ما زالت محبرة سيالة .. وكل ما في الامر ان نبأها لم يبلغ اذن الاستاذ المقدسي . وأما من اشار علينا بملاحقة نتاجهم في مجلة « المعرفة » ، فانهم ليسوا وجه سورية القصصي . انهم وجوه جديدة، بدأت تعطي . ولكن ثمة عددا من الكتاب ، تمرسوا في كتابة القصة وشهد لهم بالتفوق والبراعة .. الا ان سوء حظهم جعل الاستاذ المقدسي يتذكر غادة السمان وكوليت خوري ، ويضيف الى سورية مواطنة وقصصية جديدة هي سميرة عزام .. وينساهم .. ينسى عبد السلام العجيلي وحسيب الكيالي وسعيد حورانية ومصطفى الحلاج وعادل ابو شنب وحنا منية ومراد السباعي .

لقد خصص الاستاذ المقدسي كتابه للفنون الادبية واعلامها .. أفليس عبد الرحمن الكواكبي وشبلي شميل وعبد الرحمن شهبندر ومحمد كرد علي وسلامة موسى واسماعيل مظهر من هؤلاء الاعلام .. فلماذا لم نر شيئا منهم ؟ لماذا لم نقرأ بضعة اسطر على الاقل عنهم ؟

يخيل الي ان الاستاذ المقدسي حين ازمع على تاليف هذا الكتاب وضع نفسه في غرفة ملأى بالكتب والفهارس والمراجع الجاهزة ، مصرا على الا يكلف نفسه عناء الاستقصاء الشخصي والمتابعة الفردية الدائبة، وهما من بين الشروط الضرورية لمن يعد نفسه لمثل هذه المهمة الضخمة، فمن رحمه حظه من السادة الكتاب كان لاسمه نصيب موفور بين المراجع والكتب ، وبالتالي ورد اسمه في كتاب الفنون الادبية ، واما من قصر حظه فلم يبق له ، وقد غدا في ذمة الله ، الا ان يستمطر اصدقاؤه ومحبوه رحمة الرب عليه .

نصر الدين البحرة

مدرس الادب العربي في ثانوية ابن سينا

شموع المعبد

شعر — فوزي عطوي — ١٧٦ صفحة — منشورات مكتبة المعارف بيروت

كان من قسمتي ان اشهد المواد الادبي للشاعر فوزي عطوي ، وان ارى كيف دلف الى الحياة الادبية العريضة دون تعسر او عناء . وكان من حظي ان قدمت لديوانه الاول « دم وفم » وهو ديوان نصفه عاطفي ونصفه حماسي وكله من المسبوكات الانيقات التي يزدان بها جيد الشعر كما يزدان نحر الغانية بالقلائد الثمينات .

ولقد عرفت الشاعر فوزي عطوي من خلال شعره ، ثم عرفته من خلاله المشرفات ، ثم عرفته وجها لوجه ، فالفيتني تلقاء شاب ملء جوانحه اشراقة الحياة ، وملء اعطافه دفق العاطفة ، سمهري المعي اريحي ، تكفيه اللفتة وتغنيه الاشارة عن العبارة ، وهو كشاف عن فضائل الادب ، يتحراها في دأب ، ويتملاها عن كثب ، ويأخذ عنها ومنها ما يرفل به شاعريته ويطيل عنقه بين الشعراء الطالعين ، متحرزا من اوهام الغرور ، مجتنبا مزالق العجمة مسترفدا صدق الاحاسيس .

وهو الى ذلك رقيق كالنسم ، انيق كاليمام ، احساسه رهيف ، وعاطفته مشبوبة كأنها من شواظ ، وقلبه يسابق عقله فيغلبه احيانا ويغلب منه في احيان اخرى ولكن بلا هزيمة لكليهما . تجربة واحدة تهزه من اعماق اعماقه ، فيؤلف فيها ديوانا برأسه ، كالنخلة المعطاء تجود بكل رطبها بعد هزة واحدة . وهو شاعر في نثره ، شاعر في قوله ، شاعر في مسلكه ، شاعر مفطور على الشعر منذ ولد في معبده، شاعر تتأجج فيه الشاعرية ولا تخمد ، شاعر يتربع في دست ومن حوله ملهمات يتحلقن ، وشياطين مترعون ، وامامه كؤوس يعب منها فلا يفرغ ما في الدن . انه شاعر مطارد من الشعر دائما ، وما احلى هذا الطراد الى نفسه ، فلا بدع ان يشعل لنا شموعا في هيكل الحب الشاعري، فتضيء طريقا سار فيه الشعراء جميعا من يونان ورومان وسكسون ولاتين وعرب وفرس وهندوس وصقالبة ، وهل في الشعر ارحب من طريق الحب ، يؤمه الشعراء من كل فج عميق ، ويامون به من المشارق والمغارب ، ولا عليهم اذا عادوا كافرين او غدوا مجانين او نالوا الشهادة في ساحه مضرجين .

و « شموع المعبد » منظومة جديدة للشاعر فوزي عطوي ، صورت تجربة كبيرة من تجاربه العاطفية عاشت معه زمنا غير قصير . ويبدو ان الشاعر فتن بزميلة له كانت في حداثة المراهقة ، عرفها يوم لم يكن لها صدر ولا نهد ولا ثغر ولا خد ، حتى اذا استيقظت فيها الانوثة الكاوية ، نظرت الى مرآتهاورددت :

والیوم لي نهدان في صدري
نهدان لي .. نهدان في صدري
انثى انا .. اغفو على الجمر
لي خصلة الالماس في شعري
لي خمرة الالهام في ثغري
لي حبي المجنون في سري
ولي النفاق على مدى عمري

وعاشت هذه الفتاة في دنيا النفاق والخداع ، تتدله على الشاعر ، وتتمرد على وحدانية حبه ، وتستعلي عليه ، وتستقل شأنه ، ظنا منها بان الشاعر منجذب اليها برباط من السحر لا افلات منه ، وبان رأس مالها هو الفتنة الكامنة ، وهذا لسانها يجهر للعالمين :

لي صدري العاري — لي خدي العنبر
لي نهدي النادي — لي ثغري السكر

وماذا يفعل شاب وضيء الروح بكر العاطفة شفيف الوفاء في مثل هذه المتمردة اللعوب الرعناء التي ادنته ثم جافته ، واخلص لها فجحدته، وهام بها فلما اطمأنت الى استئناسه تنمرت عليه ؟ لم يجد في ضباب محنته الا ملاذا واحدا هو رجولته ذات الكبرياء :

عيبها انها تنسى ، وهي ترجو لو تعيد الاملا
أن من عادت اليه شاعر ، لم يكن في الحب الا رجلا

فما كان منه الا ان تركها ضائعة ضائعة ، تستجديه الهوى فينكره في عزة الكبرياء ، وتستثير ذكرياته الحبيبات فيدبر عنها ادبار عنيد غير غفار ، قائلا لها وهو يعارض قصيدة صديقنا العزيز نزار قباني المشهورة :

أتظن أني لعبة بيديها ؟   حتى اعود ، متى تحب ، اليها ؟
أم انها خالت هواي تعبدا   لدلالها ، كيلا أثور عليها ؟
عادت تردد ما نسيت من الهوى   والي تشكو السهد في عينيها
وتقول لي : اني رفيق حياتها   وبأنني الحب الوحيد لديها
وبكت ، فسفهت الدموع وقلت : لا ، وخنقت حرف المكر في شفتيها
أفهمتها انـي وفـي للوفـا   وبأنها محت الوفا بيديها
ما كان يعرفها الحلاء لو لم اكن   متفنيا بالورد في خديها
ومهللا للنور في بسماتها   ومصفقا للطيب في زنديها
ومرجعا بوح الفساتين التي   خجلت ، ففطت بالحيا قدميها
قالت : اتوب ، فما غفرت فطوقت خصري كنائهة رأت ابويها
فتركتها في الارض تستجدي الهوى   حتى اعود ، متى احب ، اليها

ولم يعد اليها لان « شعثاء » تصامت عن نداء الحب ، وعاندته وكابرته واستغلت سماحة نفسه وصدق هواه وبراءة نجواه ، ولم تنفع فيها نصيحته يوم قال لها :

بئس العناد ، فلا تكوني في الهوى دوما عنيده
اني احبك فارجعي ، او فاهجري وابقي بعيده
سترين بعد اليوم لي في كل شريان قصيده
شعثاء : اني مشفق ان تصبحي يوما وحيده

بل لم يجد معها الصفح يوم جاءته في استعطاف واستجداء ، فانطلق بقلبه يستقبلها وبكله يضمها قائلا لها في نبالة وشهامة :

لا تسألي الصفح وتستعطفي
فأكبر اكبر من بعدنا
وفانا ، وهذا الحنان الصفي
اجلك ان تسأليني السماح
فضني بدمعك ، لا تذرفي
اجلك حتى من التجربات
امام التجارب ، لا تضعفي
لغير الحبيبين هذا العتاب
شريف وحن الى اشرف
احبك كيف تحب السماء
وكيف يرام الجمال الدفي

وهكذا ضيعت « شعثاء » هذا الحب الصفي ، وكفرت بالشاعر الاسمر الوفي ، وانطلقت بلا حدود من عالم البراءة الى عالم الفتنة ، ناسية ما قاله لها الشاعر :

انت روح ، انت طهر للأبد
انت فوق العرف ، فوق المعتقد

وهو واثق من انه ، على الرغم من الهجر ، قد ترك في قلبها فراغا وفي قرارة الذاكرة مكانا لا يملؤه سواه . فأيام الجامعة ببراءتها واحلامها وامانيها ، وزمالة الجامعة بصباها وفتونها وسذاجتها ، ذكريات لا تبليها ايادي النسيان ، ولن تمحوها عوادي الازمان وان كانت ذهبت في خبر كان .

وفي هذا يقول شاعرنا فوزي عطوي ، ولنغض الطرف عن الاوزان :

انا لا انسى هوايا

الاخلاق تخترعها الارانب
وتستثمرها الذئاب

●

صدر حديثا في بيروت الكتاب الضخم « العالم ليس عقلا » آخر ما كتب عبد الله القصيمي .. جاء في احد فصوله المعنون بالعنوان اعلاه ص ٣٩٦ : « لقد كان الانسان في التاريخ معبدا تتجمع فيه كل الارباب والطغاة والاشباح لتتآمر على سحقه . كانوا يريدون ان يوجدوا انسانا بلا شهوات ولا تفكير ولا حرية ، كان وجود هذا الانسان الخرافي امل جميع التعاليم المقدسة وأمل جميع المسيطرين الاقوياء الذين تعاقبوا على البشر يسحقون عقولهم وشهواتهم ومجدهم . لقد حرموا عليهم الضحك وشجاعة القلب والفكر ، وكانت الالهة تغضب على الذين يضحكون ويفرحون ، ولا ترضى الا على من يحزنون ويبكون . كان البكاء والانهيار النفسي عبادة ومزية وخلقا ؟.. لقد كانوا يريدون ان يحولوا التاريخ كله الى مبكى ، ولم يكفهم ان حولوه الى معبد ؟.. جربوا كل وسيلة رديئة ليقتلوا في الانسان كل اسباب الذكاء والقوة . وكان من هذه الوسائل ان ابتكروا خصاء الرجال ، ولم يكونوا يريدون ان يخصوا فيهم القوة الجنسية فقط ، بل ان يخصوا فيهم فحولة العقل والحرية والشجاعة ، كان اهتمامهم ان يوجدوا مجتمعات من الخصيان ، وجدوا ان الخصيان يفقدون كل طموح الى الحرية والتمرد والمقاومة. والذين يقومون بعملية الخصاء للمجتمعات موجودون في كل زمان ، كما يوجد الخصيان ايضا في كل زمان . وما من دكتاتور او زعيم اناني او دجال روحاني الا وخطته ان يخصي شعبه .. ان التحدي والعبقرية والقوة المتفوقة شهوات لم يستطع الطغاة والتقاليد والمعلمون ان يخضعوها بالخصاء ... »

قال الاستاذ قدري قلعجي في جريدة الكفاح : « في هذا الكتاب فصول قل ان يوجد لها مثيل في شرق او غرب » وقال الدكتور صلاح المنجد في جريدة « الحياة » : « انه كتاب قل ان تخرج المطابع مثله ، ولا شك ان مؤلفه عبقري فذ ، ولو ان الكتاب صدر في بلد متحضر فكريا لضجت الصحف بتحليله ونقل الفصول عنه .. » وقال الاستاذ جورج جرداق في جريدة « الحياة » : « انه كتاب لا مثيل له في اللغة العربية وانه نادر المثال بين الكتب الغربية التي اصدرها كبار العقل والقلب وان من لا يقرأ هذا الكتاب خليق ان يصفع .. » .

وهي لن تجرؤ ان تنسى وفايا
سوف تندم
وانا لن اتالم
انما يؤسفني قلب محطم
ان اراه يتالم
مثل عليا وآمال تخيب
وتموت
وحقارات الشعوب
في البيوت
تستمر
نحن لا نرضى لها ان تستمر
عفوه الحب الذي اسمعني
لحنه البكر بقلب الجامعه
انني باق معه
وهواي البكر لن يجمعني
بالتي تاهت بقلب الجامعه .

وبعدما دفن الشاعر حبه الاول الكبير ، واضاء في معبده الشموع وجفف من عينيه ما ذرفت من دموع وطامن من جزع قلبه الولوع ، استرد وعده القديم وتحلل من اساره ، لا سيما وقد عيرته شعثاء « بمستواه » ، وقال للتي لعبت بعقله وتلاعبت بعواطفه واستهلكت روحه زمنا ما :

وعدتك بالشموع وبالتحايا ... هدايا ما احيلاها هدايا
ولكن « مستواك » اظن اعلى ... فلن تجدي هدايا « مستوايا »
ويكفي انني اوقدت حبا ... بقلبك ، ليس يدري ما الخطايا

هذا عن موضوع الديوان الذي طالعنا به الشاعر المرجو فوزي عطوي .

اما عن قوالبه ، فقد اباح الشاعر لنفسه ان يتصرف في القوافي والاوزان تصرف مهجري مقتدر لم يخل من موسيقية جميلة ولم يصدم الحس الشعري في عنف . ولكنه ذهب في بعض تصرفه مذهب المحدثين من مطلقي دعائم الشعر ، فأحسست فيه ازورارا ما كان اغناه بشاعريته الخصبة عنه .

ثم ان اختصاص ديوان كامل بموضوع معين لا بد ان يوقع الشاعر في تكرار للمعاني والالفاظ وهذا امر ملحوظ في « شموع المعبد » ، وان يكن التكرار غير ممل ، وهو في مواضعه من الديوان يكاد لا يستبين الا لمن يقرأون المنظومة كلها في جلسة متصلة او جلستين واحدة في اثر الاخرى .

ويلاحظ على الديوان ان صاحبه قد وزع قصائده في عشوائية مقصودة حتى يخفي بذلك الصورة الكاملة للتجربة البكر التي زلزلت عواطفه زلزالا وجرعته ما كان يكره . فالترتيب الزمني للقصائد غير متوافر ، وهذا « تكنيك » تعمده الشاعر في حرصه على تضليل القارىء وتركه في متاهة الاعتقاد بأن هذه القصائد لا رابط بينها ، وبان لشعثاء اخوات اخريات سلبن لبه وخلبن رشده وركبن متون قلبه وفكره .

اما وقد شهدت مولد الشاعر فوزي عطوي في بستان الشعر الاغن، فليس بمعييني ان ارى نموه واشتداد ساعده ، وان اعرف انه سيسار في طريق المجيدين من الشعراء اذا التفت الى ابعاد الشعر الصحيح طولا وعرضا وعمقا وخيالا ، واذا اتصل بأزل الشعر واتجه الى ابده .

القاهرة — وديع فلسطين

ظهر حديثا

- النفق والارقام ـ مجموعة قصص ـ تاليف اسكندر لوقا ـ تقديم اورخان ميسر ـ الخطوط والغلاف بريشة المؤلف ـ ١٥٢ صفحة ـ مطابع ابن زيدون بدمشق .

- الشموع المحطمة امام عذراء ـ مجموعة شعرية ـ محمود علي خليل ـ الرسوم بريشة شوكت الجعفري ـ الخطوط بريشة محمود جرار ـ ١٠٨ ـ صفحة ـ مطابع الشركة الصناعية في عمان ـ الاردن .

- فاطمة ـ رواية ـ تاليف خضر نبوه ـ ٣٠٠ صفحة ـ مطبعة رقيب الاحوال ببيروت .

- اعياد ـ مجموعة قصص ـ تاليف عبد الله نيازي ـ ٢١٢ صفحة ـ منشورات دار الاداب ببيروت ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

- ثريا ـ رواية ـ تاليف فاضل السباعي ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الاتحاد ببيروت ـ مطابع دار الصحافة ببيروت .

- سمراء السحر ـ شعر ـ عبد الله عبد اللطيف العثمان ـ ٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مجلة الجمهور الجديد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

- الامامة في الاسلام ـ تاليف عارف تامر ـ ٢٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

- اغنيات للصمت ـ مجموعة شعرية ـ عبد الرحيم عمر ـ تقديم الدكتور هاشم ياغي ـ ١٣٢ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ مطبعة كرم ببيروت .

- اكتشاف جزيرة العرب ـ تاليف جاكلين بيرين ـ ترجمة قدري قلعجي ـ تقديم الشيخ احمد الجاسر ـ ٤٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

- سجناء الزون ـ تاليف خضر نبوه ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

- ملكة الثلج ـ من اقاصيص اندرسن ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ١٧٦ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

- كنايات من الفرات ـ تاليف المحامي عبد القادر عياش ـ ٦٢ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة التراث الشعبي في وادي الفرات ـ صادر عن دير الزور بسورية (لم يذكر اسم المطبعة) .

- الاصدقاء ـ قصة ـ تاليف حسن جمال الحسيني ـ ٤٥٦ صفحة ـ منشورات المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .